قرارة الموجة

نازك الملائكة

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

وزارة الثقافة

الغلاف والرسوم : محمد قطب

نازك الملائكة

قرارة الموجة

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة

إلى أمي ..
أول شاعرية خصبة تتلمذت عليها
نازك

تقدمة

١

كنت قد كتبت هذا الحوار التحليلي عام ١٩٥٧ لأجعله مقدّمة للطبعة الأولى من (قرارة الموجة) . وقد حاولت فيه أن أشخص تطوري النفسي بين الفترة التي نظمت فيها هذا الشعر (١٩٤٧–١٩٥٣) والفترة التي كنت أمرّ بها عام ١٩٥٧ حينما كنت أنظم قصائد ديواني الرابع (شجرة القمر) . ومن عادتي ألاّ أنشر إنتاجي الشعري إلا بعد مرور الزمن عليه ، ليكون حكمي عليه أصوب ، وذلك سرّ الفروق الزمنيّة التي تقوم بين شخصيتي الفكريّة في (قرارة الموجة) وشخصيتي الجديدة عام ١٩٥٧ ولذلك سمّيت بطلة قرارة الموجة بـ (الأولى) وبطلة عام ١٩٥٧ بـ (الثانية (فشخصت بذلك الفروق

بين ذهنيهما . وقد عدلت يومها عن نشر هذه المقدّمة لأترك للقرّاء فرصة يدرسون فيها القصائد بمعزل عن تحليلاتى ، أما الآن وأنا أقدّم للطبعة الثالثة ، فلا أرى مانعاً من نشر الحوار لما يلقيه من اضواء كاشفة على هذا الشعر قد تساعد الناقد فى فهم وجهة نظرى الفلسفية وتطوّرى الذهنىّ بين الفترتين .

البصرة   ن . م

فى ٢٣–١٢–١٩٦٧

٢

الثانية : انهم يسألوننى عنك ، أيتها الصديقة القديمة ، ويريدون ان يعرفوا لماذا سمّيته « قرارة الموجة » .

الأولى : (فى لهفة) أو ليس فى وسعك أن تردّى عليهم ؟

الثانية : (دون مبالاة) بلى . لست أنكر أن عندى معلومات كثيرة عن هذه القصائد ، وفى وسعى أن اتحدث طويلاً عن كلّ واحدة منها . ولكنى — والحقّ يقال — لا أحسّ برابطة تربطنى بها أو بكِ . هذه القصائد قد نظمت منذ سنين ولم تعد تعنينى . اتريدين أن أقف منها موقف الناقد ؟

الأولى : أنتِ ؟ بمقاييسكِ التى لا أقرّها ؟

الثانية : ماذا فى وسعى اذن ؟ لقد سألتكِ ان تتحدثى أنتِ إليهم عن نفسكِ فأبيتِ .

الأولى : إنّك ترفضين ان أقولَ ما أريد ، وتصرّين على أن أقول ما تريدين أنتِ ، مع أنى أنا التى كتبت هذا الشعر لا أنتِ .

الثانية : فلنفرض انى أذنت لك بالكلام .

الأولى : (ساخرة) كرمٌ عظيمٌ منكِ . انى احبّ أن أحدثهم عن « الموجة » ، عن النقطة العليا التى أسميّها القمّة ، والنقطة السُفلى أو « القرارة » . القمّة التى تصلها الموجة وماؤها مندفع الى أعلى ، والقرارة التى تصل إليها حين تستجمّ حركة الاندفاع المتوتر .

الثانية : يا أختى ! أما كان الأفضل ان تنشرى لهم الشعر الذى نظمته وانت فى قمّة الموجة ؟ أنتِ تدرين أنهم يتهمونكِ بالتشاؤم .

الأولى : (فى ازدراء) القمّة ؟ لا شىء على القمّة إطلاقاً . انى اكتب قصائد باردة حين أبلغها . وما القمّة بعد ؟ انها بداية الانحدار . أما القرارة فليست الا الاستجمام الذى ينطوى على بذرة التحفّز الى الانبثاق الحارّ والصعود الى القمّة التالية .

الثانية : سيقولون حين يسمعونك : ما قيمة الصعود ان كانت القمّة نفسُها باردة ؟

الأولى : مهما يكن فانّ عنوانى « قرارة الموجة » متفائل .

الثانية : هكذا كنتِ تقولين عن (شظايا ورماد) ان لم أخطىء .

الأولى : كلاّ . ان الشظايا قمّة عالية حقاً، ولكنّ الرماد هو النهاية التى لا حياة بعدها . أما الموجة فهى لا تركد أبداً، والنقطة السُفلى فيها ليست الا القفزة الجديدة نحو القمّة . وهكذا ترين ان (قرارة الموجة) يرى الحياة على صورة تعاقب قمم وانحدارات لانهاية لها ، واذا كان هذا الشعر قد نظم فى منحدر الموجة فانها محض صدفة لا اكثر .

الثانية : آمنّا . ولكنى احبّ ان أعترض على شىء ان سمحتِ .

الأولى : (فى ضيق) كما تشائين .

الثانية : انى احبّ ان أغير عنوان الديوان من (قرارة الموجة) الى (طريق العودة) فما رأيك .

الأولى : فكرة ذات إمكانيات . أتعلمين انّ هذا قد خطر لى انا

نفسي مراراً ؟ ان قصيدة (طريق العودة) كبيرة الدلالة وأنا اعدّها مفتاح الفلسفة التي قامت عليها حياتي .

الثانية : اتفقنا اذن . فلنسمّه (طريق العودة)

الأولى : كلا . ليس في وسعي ان أوافق . انّ القرّاء سيظنون العنوان غواية لا اكثر . سيحسبون أنني لم أجد عنواناً يلخّص عقدة الديوان ويدلّ عليها فلجأت الى تسميته باسم احدى القصائد : الواحدة الاثيرة الى قلبي .

الثانية : وماذا لو ظنّوا هذا ؟ إن ديوان شعرٍ ما ليس عملاً موحّداً بحيث يجب ان يلخصه العنوان .

الأولى : هذا مالا أوافق عليه . ان العنوان ليس الا مرآة صغيرة تعكس فترة من حياة زاخرة عاشها الشاعر ، ولا بدّ لكل فترة في حياة الشاعر الحقّ في اتجاه مميّز . انه شيء قائم . وهو يحتّم العنوان .

الثانية : رأي متعنّت . انتِ جديّة اكثر مما ينبغي . وبعد فان عنوانك العتيد (قرارة الموجة) لا يمثل القصائد كلها . انّ في هذه المجموعة قصائد لا تقع تحت هذه الفلسفة .

الأولى : هذا حقّ ، وأنتِ المسئولة . لقد حذفتِ نصفَ قصائد
هذا الديوان . أنكرى هذا .

الثانية : انىّ لا انكر . هذه القصائد لم تعد تروقنى وقد حذفتها .

الأولى : ولكنها مقاييسُك أنتِ ، انت التى لم تنظم هذه القصائد .
وليس من حقّك ان تتحكمى فى شعرى أنا . امامكِ
ديوانك انتِ فاحذفى منه ما تشائين .

الثانية : الا يبدو ان فتاةً أخرى هى التى ستتحكم فى شعرى أنا ؟
واحدة لا أعرفها الآن ، ستنبع من المستقبل وتواجهنى
ولن يروقها شعرى . أغنيّى هذه الأخيرة التى تنتفض
فيها الوردة الحمراء وتتفجر الدموع المختبئة فيها ... هذه
الاغنية التى أراها أنا أجمل ما يمكن ان أنظم ، يجوز أنها
لن تسمح لى بنشرها كما أصنع انا بقصائدك .

الأولى : (كأنها لا تصغى) حقاً ماذا أبقيتِ من (قرارة الموجة) ؟

الثانية : يكفى ما أبقيت منه . ان القارىء سيألف الفلسفة . ألا يكفى
انكِ ملأت بها (لعنة الزمن) و (الشخص الثانى)
و (سخرية الرماد) و (يحكى أنّ حفارين) و (صلاة

الاشباح) ؟ لا بل ألا تكفيك قصيدة (طريق العودة)
هذه القصيدة التى تولعين بها ؟

الأولى : انّها تلخصنى .

الثانية : طبعاً تلخصُكِ . ولهذا أرانى لا أنسجم معك . انى أحبّ طريق العودة ولا أستسيغ كرهك له وثورتك عليه .
اسمعى ما تقولين .

لماذا نعودْ

أليس هناك مكان وراء الوجودْ

نظلّ إليه نسير

ولا نستطيع الوصولْ

الأولى : (فى لهجة حالمة) حقاً ، لماذا نعود ؟ ان طريق الرواح مملوء بالحياة والجمال دائماً . وما نكاد نقرّر الرجوع حتى يركد كل شىء ، وتلوح الاشياء جامدة مملّة . طريق الرواح يعرض علينا الأشياء أول مرّة فنراها بلهفة تخفى ما فيها من معايب ، بينما يقدّمها لنا طريق العودة وقد فقدتْ جدّتها .

الثانية : وا أسفاه . أنتِ اذن تؤمنين أنّ آمالنا هى دائما أجمل من
تحقّقها . أترى الكأس أعذب حين لانملكها ؟ أتصبح
بلا طعمٍ اذا نحن بلغناها وتناولناها ؟

الأولى : (ما زالت تحلم) تماماً . انتِ تلخصين فكرتى التى جاءت
فى قصيدة (وجوه ومرايا) فى شظايا ورماد حيث قلت :

كيف حين استلمت كأسىَ أرسلـــ
ـت دموعى ولم يُفدْنى ارتواءُ

الثانية : وهذه عين صرختك فى قصيدة (الزائر الذى لم يجئ) فى
هذا الديوان :

ولو كنتَ جئتَ ....
اما كنتَ تصبح كالحاضرينَ وكان المساءْ
يمرّ ونحن نقلّب أعيننـــا حائرين

الأولى : صرختى طبعاً . وأنا أحبّها . ان مجىء زائرى المنتظر ليس
الا قمة الموجة ، وتحقّقه ينذر بالمنحدر .

الثانية : انك يا صديقتي لاتقوين على التحديق فى الأشياء خوفا من أن يكشف طريق العودة ما تخفيه النظرة العجلى . أليس هذا هو السرّ فى قصيدتك (لنفترق) فلماذا أردتِ هذا الفراق وألححتِ عليه ؟ اسمعى ابياتكِ :

وما زال وجهُكَ مثل الظلام ، له الف معنى
وقد يعتريهِ جمود الصَنَم
اذا رفع الليل كفيّه عنّا

هكذا تحاولين ان تهربى من التحديق فى الاشياء، وتؤثرين ان تستبقى على عينيكِ غشاوة تحجب عنكِ كل شىء . انك تكرهين ان تبلغى القمّة لئلاّ يلوح لكِ المنحدر . وتمقتين ان تصلى الى نهاية الطريق لئلاّ تضطرى الى الرجوع . وتحبّين ... ماذا تحبّين أنتِ ؟ انك بكلمة واحدة لاتحبين الوصول الى أىّ مكان .

الأولى : وما قيمة الوصول الى مكان ؟ انظرى الى الوصول الذى حققته فى قصيدتى (وجوه ومرايا) .

الثانية : (ساخرةً) اوه ... قصيدتك تلك ... حيث تحطّمين المرآة ؟ اتذكرين لماذا حطمت المرآة ؟

الأولى : طبعاً . لقد كان ذاك شيئاً لا أنساه . كان ينبغى أن أنظم قصيدة سعيدة ، وقد توقعوا جميعاً ان أفعل .

الثانية : وقد خرجت عليهم بهذه (الفقاعة السوداء) . لماذا ؟ لقد أدركتِ انكِ وصلتِ . وبدلاً من ان تَسْعدي بالقمة ذهبت الى المرآة تبحثين فيها عما سميته « ذاتك التى لاتُلمس » . قولى لى حقاً لماذا حطمْتِ المرآة ؟ إنك لم تقولى هذا لأحدٍ قط ؟

الأولى : لم اقلْه لأحد ، ولن اقوله الآن .

الثانية : لا داعى لأن تقولى بعد . اولا أعرف كل شىء عنكِ ؟ انتِ لا تحبين الوصول والتحقق ، وقد أخافك وجهُكِ فى المرآة لان ظل القمة كان منعكساً عليه .

الأولى : وما ظل القمة فى اعتباراتك ؟

الثانية : السعادة يا فتاة .

الأولى : انت لا تفهميننى على كل حال .

الثانية : مهما يكن ــ لقد ألقيت بالمرآة على الأرض وحطمتها
لتهربي من القمة التي تخيفُكِ : الوصول .

الأولى : وهنا كانت السخرية . لقد بات وجهي منعكساً على كل
شظية من شظايا المرآة . لقد تعدّدت وتجزأتْ نفسي .
ان هذا هو ما اكرهه .

الثانية : لانكِ تكرهين الوصول وحسب . انك لم تطيقي ان تصلي
مرة ، وعندما تحطمت المرآة تعدّد وصولُكِ فلم تطيقي
الموقف .

الأولى : وماذا كان سيقع لي بعد ذلك ؟ بعد الوصول ؟ الانحدار
الى القرارة .

الثانية : وكيف تستطيعين الاستمتاع بالقمة ان لم تقرري النزول
الى القرارة ؟ كيف تنعمين بطريق الرواح ان كنتِ
لاتطيقين طريق العودة ؟ ففي اذن حيث انتِ يا صغيرتي
وأغمضي عينيكِ ، أغمضيهما بسرعة لئلا يشرق الضوء ــ
أو يلوح لك القمر وهو يسخر منك كما تصفينه في (سخرية
الرماد) .

الأولى : انتِ تحبين الجَدَل .

الثانية : ربما . ولكنيّ أجادل ظلاً هذه المرّة . وبعد فمن أنتِ ؟
طيفٌ من الماضي . شيء كان ولم يعد له وجود .

الأولى : اني اقوى منكِ مع ذلك . انظري كيف تنتحين لي
وتدعينني أعيش على الورق ، بينما تلوذين انتِ بالصمتِ
التامّ .

الثانية : أنت تَخلبين ؟ سرعان ما ستتعبين في المقاومة وتهربين .
انك تنسين الاشياء بسرعة ، ولا تحبين الثبات على أيّ شيء .
انك تبتدعين الأساليب لكي تغيري أيّ طريق تسيرين فيه .
ان الزمن يدحرك في كل مناسبة .

الأولى : (تنتفض في شبه خوف) الزمن ؟

الثانية : انظري كيف افزعتْك الكلمة ؟

الأولى : اني لا اخاف الزمن . اني أسأمه وحسب . ولعلي أتعب
من مصاحبة أفكاري .

الثانية : ان « قرارة الموجة » افصح منكِ في الحديث واكثر صراحة .
انظري الى قصيدة (لعنة الزمن) . انك ترمزين للزمن
بالسمكة الميتة التي كانت طافية على سطح النهر ذاتَ

غروب خلال نصف ساعة متأملة قضاها الصديقا
اللذان تتناول القصيدة قصتهما .

الأولى : طبعاً يكون للزمن تأثيره . انظرى الى الظروف التى
فيها .

الثانية : مالهما ؟ لقد أعطيتهما فى أول القصيدة خير ظروف
طبيعة ملاطفة، وغروب وديع يفرش ألوانه فى
المحبين اللذين يحاولان إحياء ماضٍ قد انطوى ويبذل
منهما جهداً مخلصاً فى هذا الاتجاه . وقد نجح الغروب
فعلاً وحقق المعجزة وسعد الصديقان . ولكنكِ
ما أنتِ تدخلت فوضعت السمكة الميتة فى الطريق .

الأولى : (تبتسم) انا وضعتُها ؟ إنها كانت طافية على
اضعتُها أنا هناك ؟

الثانية : انها كانت مجرّد سمكة ميتة ، وكان فى وسعها
كذلك لو لم تصرّى انتِ على ان تكبر وتكبر .

الأولى : «فى احتجاج» انتِ تتكلمين وحسبُ . ان السمكة
بدأت تكبر فجأة .

نية : لانهما القيا بالهما اليها يا ساذجة .

ولى : «فى جهل مخلص» لقد قابلاها بالشفقة اولاً . ثم أحسا بالضيق بسبب التعارض بين مشهد الموت وحرارة الحياة التى نجحا فى تحقيقها اتريدين ان تقولى انهما كانا يستطيعان ان يقاوما الشعور بالانزعاج فى ان تطفو سمكة ميتة فى تلك اللحظة ؟

انية : ان الصديق قد رفض ان يلقى باله الى السمكة . الا تذكرين احتجاجه القوىّ على الفتاة فى بعض مقاطع القصيدة ؟

ولى : انه لم يكن خائفاً .

انية : طبعاً . هكذا بدأ . ولكنه سرعان ما خاف بتأثير الفتاة التى نسيت كل شىء وعلق بصرها بالسمكة فى رعب . اسمعى صرخاتها :

. . . . أى طريق
يحمينا من هـــذا المخلــوق
لنعـــد . فالدرب يضيق يضيق
والظلمة محكمة الإغـــــــلاق

لقد راحتْ تثير وساوسَه ومخاوفه حتى نجحت فى زعز

ثقته ، ومهدت السبيل لانتصار السمكة التى مَضَتْ

التضخم حتى فصلتْ بينهما وسدّت فى وجهيهما الأرجا

قولى لى ، الستِ أنت التى وضعتِ بينهما هذه « الجثة »

الأولى : لقد كانت الجثة موجودة ، ولا شأن لى انا بها . كيف لا

يمكن الاّ أخاف ؟

الثانية : ان السمكة فى قصيدتك رمز للزمن اى الفراق بين الصديق

أليس كذلك ؟

الأولى : تماماً . إنى أعتقد أن فراق عشرة أشهر بين الأصدقاء أولاً

يجعل من المستحيل ان يعودوا أصدقاء .

الثانية : أغرب عقيدة . ولماذا ؟ اذا سمحتِ بالسؤال .

الأولى : لأنهم لابدّ ان يكونوا قدتغيرّوا خلال ذلك ونمت فى انفسهم

ترسّبات زمنية كثيرة تجعلهم غرباء الواحد عن الثانى .

الثانية : ما هذا الزمن لتخافيه الى هذا الحدّ ؟ انّ التغير مهما

عميقاً لا يبعد الانسان عن إنسانيته التى تبقى تجمعه بالآخر

مهما كانت صفتهم . لكأنك تفترضين ان الناس أصلا

منفصلون ولا يجمعهم الا الاتصال . اما أنا فأومن

قيام الصلات الودية بين أيّ انسانين فى الدنيا محتمل فى كل لحظة بحيث يصعب تحاشيه .

ولى : رأيك هو الغريب . انى أقضى اشهراً طويلة أحياناً قبل ان احسّ بشىء من الانسجام مع انسان أراه كلّ يوم .

انية : يسرّنى يا اختاه انك محض ظل الآن . وخيرٌ لك ان تعودى الى قوقعة التاريخ الّتى استدعيتكِ منها وانا أهىء (قرارة الموجة) للمطبعة .

ولى : انى لا أطيقُكِ . انتِ الشخص الثانى الذى اسخر منه فى قصيدتى .

انية : ها ، قصيدتك (الشخص الثانى) . كنت على وشك ان أنساها وهى دليل حىّ على رعبك من الزمن الذى يلوح فيها شيطاناً خبيثاً .

ولى : انتِ الشخص الثانى .

نية : رائع . ان هذا يناسبنى وانا راضية . اتحسبين ان الناس يخلون من ان يكون فيهم شخص ثانٍ ؟

ولى : ماذا ينفعك هذا ؟

الثانية : انّ فى وسعى ان اصافح هذا الشخص الثانى ياصديقة
انه اقرب الىّ منكِ .

الأولى : ان الشخص الثانى : بارد ، هازئ ، بلا مشاعر .

الثانية : هكذا ترينه لانكِ الشخص الأول دائماً . لقد اردد
تتغيرى قط ، وكأنك صغتِ نفسكِ وفق قالب نموذ
وعندما عدتِ من الولايات المتحدة عام ١٩٥١
ان انساناً جديداً قد ولد وترعرع ، فى داخل كل
عرفته فى أرض الوطن . قولى لى هذا وحسبُ :
لم تفترضى ان انساناً جديداً قد ولد فيكِ انت
خلال أسفارك فى اقطار الدنيا ؟ لماذا لم يخطر لكِ
انت الشخص الثانى ؟

الأولى : معاذ الله . انى لست الشخص الثانى وكفى !.

الثانية : الم أقل لك انك تلقين بالك الى الزمن اكثر مما ينبغى ؟!
الشخص الثانى هو عين السمكة الميتة ؟

الأولى : هو نفسهُ .

الثانية : هل تصافحينى ؟

الأولى : انى لا أحبكِ

الثانية : شأنك إذن

الأولى : لقد آن لى ان اعود الى قوقعتى كما تسمينها ولا أظننا سنلتقى ثانية .

الثانية : أما أنا فان نفسى الجديدة تنتظرنى فى مكانٍ ما من المستقبل القريب . وسأذهب للقائها .

الأولى : ارجو الا يطول بحثك عنها .

الثانية : مهما طال ، فلا بدّ لى من الوصول ، وسأجدها فى النهاية واصافحها . وداعاً يا رفيقة .

الأولى : (لا تردّ ، تختفى وراء الضباب)

٢١–٢–١٩٥٧

نازك الملائكة

أول الطريق

لنلتقِ ، فالرّيح تعصِف والمُنْحنَى لا يعى
وغمغمةُ الهاجسِ المتهدّدِ فى مسْمعى
وهذا الطريق الذى سلبتْه خُطاى السكونْ
غريبٌ مخيف المعابرِ يُشْبه لونَ المنُونْ
أحِسّ السّرابْ
وراء الهضابْ
وألْمس فى لونه مصْرَعى
وأنتَ بعيدٌ وراء الظنونْ

●

لنلتقِ ، ... إني أخاف المساء الغريقَ الضياءْ
أرى مارداً من أساىَ الممزّقِ يطوى الفضاء
يُنقّل أقدامه السُودَ بين عُيُونِ السّنا
ويُطْفئها ، عدْت أخشى أذاه على نجمنا
فعين الإلهْ
غفتْ عن أذاهْ
وقد يستعير لهيبَ البكاءْ
ويُغْمده في ابتساماتنا

●

لنلتقِ ، ... ما أطولَ الإنتظارَ على الخائفينْ
لنلتقِ ، تحجُبُنا فكرةٌ عن عيونِ السنينْ
هنالكَ ترصدنا نجمةٌ من هوانا الرقيقْ
تمُدّ يدَيْها لتُرْشدنا لمكانٍ سحيقْ



وراء الجراحْ

ولسْع الرّياحْ

بعيـــداً وراء كهـــوفِ الأنين

هنالكَ يبـدأ كلّ طـــريق

●

هنالكَ تبتـدئ الذكريات سجلاً جديد

وتبدو حدود طريقٍ يشُقّ الفضاء المـديد

إلى موضعٍ فى المدى المرتمى حجبتْه الظلال

وما كشفتْ عن خفاياه حتّى عيـون الخيـال

سنعبُر فيـه

إلى ألفِ تيه

سُدًى يتحرّى الزمان البليـــد

خُطانا فنحن وراء المُحـــال

●

سنحيْا معاً في عوالمَ حافلةٍ بالوعودْ
ونملكُ ليلاً يبيع النّعاسَ وعِطْرَ الورود
سينبجس الماءُ حيث لمسْنا أديمَ الثرَى
ويرقُصِ حول خُطانا بأجنحةٍ من شذَى
سنمحو الزّمانْ
وننسى المكانْ
هناك ونُقْسمُ ألاّ نعودْ
إلى أمسِنا المنطوى :
بسرٍّ بنا !

٨/٤/١٩٤٨

أغنية

اسكُتى يا أغانى الأملْ
فالهوَى قد رحلْ
وانطوَى سرّه فى مُقَلْ
رُصِفتْ بالملَلْ

●

أينَ أينَ ترى تذهبينْ
فى سكون السنينْ
والطريقُ الذى تسْلكينْ
صامتٌ لا يبِينْ

●

ولمن تخلقينَ العُطُــورْ

والليـالى تدورْ ؟

ولمن دفؤكِ المسْحــورْ ؟

للدجى ؟ للقبورْ ؟

●

ولمن أنتِ والمُنْشــدونْ

رَحلوا فى سكون ؟

والأسى ، يا أغانى ، ديــونْ

دفعتْهـــا عيونْ

●

كم ملأنا بكِ الأقــداحْ

وســقيْنا الرّياحْ

كم منحنــاكِ للأشــباحْ

فى رضاً وسَماحْ

●

فابحثي في شعاب الوجودْ

عن هوانا الشرود

كفّنا نديّتْ بالوعودْ

وهو ليس يعودْ



دعوة إلى الأحلام

تعالَ لنحلُمَ ، إنّ المساءَ الجميلَ دنا
ولينُ الدُّجى وخدودُ النُّجومِ تُنادِي بنا
تعالَ نصيدُ الرؤى ونعُدّ خيُوطَ السّنا
ونُشْهِدُ منحَدَرَاتِ الرّمال على حبّنا

●

سنمشى معاً فوق صدْر جزيرتنا الساهده
ونُبقى على الرّملِ آثارَ أقدامنـا الشارده
ويأتى الصباح فيلْقى بأندائه البـارده

وينبتُ حيثُ حَلُمنْا ولو وردةٌ واحده

•

سنحلُمُ أنّا صعَدنا نرود جبالَ القمرْ
ونمرحُ فى عزْلةِ اللانهايةِ واللابَشرْ
بعيداً ، بعيداً ، إلى حيثُ لا تستطيعُ الذكَرْ
إلينا الوصولَ فنحن وراءَ امتدادِ الفكَرْ

•

سنحلُم أنّا استَحَلْنا صبيّيْنِ فوقَ التلالْ
بريئينِ نركضُ فوق الصُخورِ ونرْعى الجِمَال
شريدَيْنِ ليس لنا منزلٌ غيرَ كوخ الخيال
وحينَ ننام نمرّغ أجسامنا فى الرّمالُ

•

سنحلُم أنّا نسير إلى الأمسِ لا للغــــدِ

وأنّا وَصلْنا إلى بابلٍ ذاتَ فجرٍ نـــدِ

حبيبَيْنِ نحْمِل عهـدَ هوَانا إلى المَعْبَدِ

يُباركُنــــا كاهنٌ بابليٌّ نقيُّ اليـــدِ

١٩٤٨/٩/٢٨



الشهيد

فِي دجَى الليلِ العميقْ
رأسُـه النشْوانَ ألقَوْه هشيما
وأراقوا دمَه الصافي الكريمـا
فوقَ أحجـارِ الطريقْ

●

وعقابيـلِ الجريمـه
حمّلوا أعباءهـا ظهْرَ القَدَرْ
ثم ألقَـوْه طعـاماً للحُفَرْ
ومتَاعـاً وغنيمـه

●



وصباحاً دفنوهُ

وأهالوا حقدَهم فوق ثَرَاهُ

عارُهمُ ظَنّوه لن يُبْقِى شذاهُ

ثم ساروا ونَسُوهُ

●

والليالى فى سُرَاها

شَهِدَتْ ما كان من جُهْدٍ ثقيلِ

كلّما غطّوْا على ذكرى القتيل

يتحدّاهم شَذَاها

●

حَسِبوا الإعصارَ يُلْوَى

إن تحامَوْه بسِتْرٍ أو جدارِ

ورأوا أن يُطفئوا ضوءَ النّهارِ

غير أنّ المجدَ أقوى

●

ومن القبرِ المعطّرْ

لم يزَلْ مُنْبعثاً صوتُ الشهيدِ

طيفُه أثبَت من جيشٍ عنيدِ

جاثمٍ لا يتقهقرْ

●

وسيبقَى فى ارتعاشِ

فى أغانينا وفى صَبْرِ النخيلِ

فى خُطا أغنامنا فى كلّ ميلِ

من أراضينا العطاشِ

●

فليُجنّوا إن أرادوا

دونَهُمْ ... وليقتلوه ألفَ قتْله

فغـــداً تبعثُه أمـــواه دجْله

وقـــرانا والحصّاد

●

يا لَحَمْقى أغْبيـــاءْ

مَنَحُوهُ حينَ أردَوْه شهيـــدا

ألفَ عُمْرٍ ، وشباباً ، وخلودا ،

وجمـــالاً ، ونَقاءْ

●

إنّـــه عادَ نبيّـــا

وهو قـــد أصبح ناراً تتحرّقْ

فى أمانينـــا وثأراً يتشـــوّقْ

وغـــداً يُبْعَث حيّـــا

٢٢/٥/١٩٥٣

لعنة الزمن

كان المغرب لونَ ذبيحٍ
والأفْقُ كآبةَ مجروحٍ
والأشباحُ الغامضةُ اللونِ تجوس الظُلمةَ فى الآفاقْ
والنهْر ظنونٌ سوداءُ
والرّيحُ مراوحُ نكراءُ
والضفّة أرضٌ جرداءُ
تمضغُها الظلمةُ فى استغراقْ
كانت خُطُوات الظلمةِ ترطم جوّ الشاطىء فى استغراقْ
والصمت يفكّر فى الأحداقْ

●

كنّا نتْبــــع نعشَ الضـــوءِ

ونُراقبُ خطْــــوَ الـــلاشيءِ

إثنينْنِ يلوحُ على استغراقهما المُبْهَمِ لونُ العُشّاق

كنّا نرقُبُ كأسَ الأفُــــــقِ

ترضع من أوشـــال الشَفَــــقِ

وتصُبُ الحُمْـــرةَ فى قلــــق

فى سيقانٍ صُفْـــــرِ الأوراقْ

فى ســـيقانٍ عرّتْها الريحُ من الألوانِ ، من الأوراقِ

ومضَتْ تبكيهـــا فى إشفـــــاقْ

●

كنـــا كالأمــــواجِ الخــرْسِ

فى عينينْـــــا لـــــونُ الشمسِ

فى وجهَيْنا الوقِرَيْنِ خُشُوعُ المغرب والأبَدِ الخــلّاقْ

كنـا نهمس كالأنــــــــداءِ

كصَدى مجــــداف فى المــــاءِ

لم نقطـــعْ صمتَ الظلمـــــاءِ

بمدامعِ ذكـرَى أو أشـــواقْ

كنّا قد كفّنّا الماضى ودفنّا اللهفةَ والأشـــــــواقْ

فى الظلمةِ فى صمْـــتِ الأعمــاق

•

وأراقَ المغــــرِبُ ألوانَــــــهْ

فوق الأشيـــاءِ الوسنــــــانه

لم يَبْقَ بنــــاءٌ لم تحمرّ أعاليهِ ، لم يبقَ زقــاقْ

حتى فى صُفْرة خديْنــــــــا

حتى فى وَجْمـــــة قلبينــــا

أحسسنا اليقظة واللونا

حتّى فى دمنا ، فى الاعراق

أحسسْنا شيئاً كالثورة فى الدمِ ، فى الأعينِ ، فى الأعراقْ

شيئاً كاللهفةِ ، كالأشواق

•

حتّى طرُق الماضى الخربه

تلكَ الآفاقُ المكتئبه

لاحت واضحةَ الصمتِ يُغازلُها ضوءُ القمرِ المشتاقْ

لا فيها أشباحٌ حيرَى

تتبعُنا غاضبةً غيْرَى

ذاتُ عيونٍ تقطُر غدْراً

فى الليل ، ولا فيها أنفاقْ

لا فيها هاويةٌ تسكنُ فيها الأغوالُ ، ولا أنفاقْ

لا شيءَ سوى القمَرِ البرّاقْ

•

وهَيَّجتْنا شيئاً مُنْفعلا

في قلبينْا ، شيئاً ثملا

يلهثُ عاطفةً بعد جُمُودِ سنينٍ مرّتْ في استغراقْ

وانبَجَسَتْ أشواقٌ وَسَنَى

من أعيُننا لوناً ... لونا..

وتحرّك في دمنا معنًى

نارىٌّ الشوقِ صَدٍ توّاقْ

وسدًى حاولنا أن نسكتَهُ فهو صدٍ ، مرِحٌ، توّاق

وسدًى تطمْره في الأعماق

•

ووقفنا في الظُلمةِ نحلُمْ

بالموج وبالليلِ المبْهَمْ

ونحوك من الأنجمِ والرؤيا والأمواج لنا أطواقْ

ونجوب العالمَ في عربات

صنعتْها أذرُعُ جنيّاتْ

من عطرِ الأزهـــار الخجـلاتْ
من أسلاكِ الضوءِ الألاّقْ
فى قعرْ النهرْ على أرضٍ لم يلمسْها القمرُ الألاّقْ
وتناست مولدَها الآفـــــاقْ

●

لكنّـــا اذ كنّـــا نحلُـــمْ
أحسَسنا شبهْ صَدًى مُبْهَــمْ
فى الأمواج الداكنةِ الصمتِ ، سَمِعْنا شبهَ صدًى خفّاقْ
« الجنيّــاتُ المنتقمــــاتْ
يصعدْنَ إلينـــا فى عربَــاتْ »
وأجاب رفيقى : « لا ، هيهــاتْ
ذلك صوت المـوجِ الرقـــراقْ
الريح الحالمة البيضاء تمرُّ على الموج الرقــــراقْ
وتخادع أسمـــاعَ العشّـــاقْ »

●

لأياً وتبدّا الحركه

ثمّةَ وإذا جُثّةُ سمكه

فوق الموجة ميّتةً والشاطىءُ فى إشفاقْ

وصرختُ : « رفيقى ! أين نسير؟

لِنَعُدْ ، فالجثّةُ همسٌ نذيرْ

أرسلها عملاقٌ شرّيرْ

إنذارَ أسىً ودليلَ فراقْ »

رفيقى : « نحن هنا يحرُسُنا الحب فأىُّ فراقْ ؟ »

وغرِقنا فى صمتٍ برّاق

●

ومشينا لكنَ الحركةْ

ظلّتْ تتبعنُا ، والسمكه

تكبرُ حتى عادتْ فى حضْن الموجة كالعملاقْ

وصرختُ : « رفيقى ! أىّ طريقْ

يحمينـــــا من هـــــذا المخلـوقْ ؟

لنعُدْ ، فالدرب يضيقُ يضيـــقْ

والظلمة مُحْكَمَةُ الإغــــلاقْ »

فأجاب رفيقى مرتعشاً ، والظلمةُ محكمة الإغــلاقْ :

« نهرُبُ ، لن تُسْلِمَنـــا الآفاق »

●

وبَقِينـــا نهرُبُ والسـمكــه

تتبْــــعُ أرجُلنَـــــا المرتبكــه

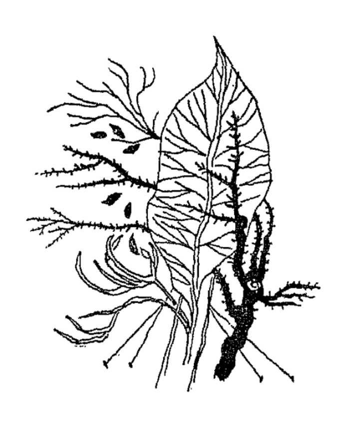
تلكَ الأحداقُ وأين المهرَبُ من لعنة تلكَ الأحداقْ ؟

وزعانفُهـــــــا السود الشوهـــاءْ

سدّتْ فى وجهينـــــا الأرجـــاءْ

وأراقتْ فى الجــــوّ الوضّـــــاءْ

سُحُباً سوداءَ ولونَ محـَــــاقْ



حتّى وجهُ القمرِ السحري غشاهُ أسًى وظـلامُ مَحَاقْ

وتلاشى مبسمُـه الــــبرّاقْ

●

ورَجَعْنـا نسحَبُ قلبينـــا

ونجُرُّ كآبـــةَ ظلّيْنـــا

تتْبعُنـا الأحداق النّهمات بنظرةِ هُزْءٍ ليس تُطاقْ

حتّى الأغصـانُ المشتبكــه

عادت تُشْــبه عــينَ الســمكه

وتروع خُطــانا المُرْتبكــــه

والأنجُم عادتْ كالأحـــــــداقْ

والغدُ والماضى والدنيا وهوانا فى تلك الأحـــــــداقْ

رَسَبَتْ وتــوارت فى الأعماقْ

١٩٥٠/٨/١٢

إلى العام الجديد

يا عام لا تقْرَبْ مساكنَنا فنحن هنا طُيوفْ

من عالم الأشباح ، يُنكرُنا البشرْ

ويفر منّا الليلُ والماضى ويجهلُنا القدَرْ

ونعيشُ أشباحاً تطوفْ

نحن الذين نسيرُ لا ذكرى لنـــا

لا حُلْمَ ، لا أشواقَ تُشرق ، لا مُنَى

آفاق أعيننــا رَمادْ

تلك البحيرات الرواكد فى الوجوه الصامته

ولنــا الجبــاه الساكته

لا نبضَ فيهنا ، لا اتقادْ

نحن العُراةُ من الشعور ، ذوو الشفاه الباهته

الهاربونَ من الزمان إلى العدَمْ

الجاهلون أسى الندَمْ

نحن الذين نعيشُ في ترفِ القصورْ

ونظلّ ينقُصنُا الشعورْ .

لا ذكرياتْ ،

نحياَ ولا ندرى الحياهْ ،

نحيا ولا نشكو ، ونجهل ما البكاءْ .

ما الموتُ ، ما الميلادُ ، ما معنى السماءْ .

●

يا عام سرْ ، هو ذا الطريقْ

يلوى خطاكَ . سُدىً نؤمّل أن نُفيقَ



نحن الذين لهم عُروقٌ من قصَبْ

بيضاءُ أو خضراءُ ، نحن بلا شعورْ .

ألحزن نجهله ونجهل ما الغضبْ

ما قولُهُم إنّ الضمائرَ قد تثورْ

ونوَدّ لو مُتْنا فترفُضنا القبورْ

ونوَدّ لو عرَف الزمانْ

يوماً إلينا دربَهُ كالآخَرينْ

لو أنّنا كنّا نؤرّخ بالسنينْ ،

أو أننا كنّا نقيّد بالمكانْ ،

لو أن أبوابَ القُصُورِ الشاهقــاتْ

كانت تجيء قلوبَنا بسوى الهواءْ ،

لو أنّنا كنّا نسيرُ مع الحياه

نمشي ، نُحِسّ ، نرَى ، ننام

وينالُنا ثلجُ الشتاءْ

ويلُفّ جبهتَنا الظلامْ

اوّاهُ لو كنّا نُحسّ كما يُحِسّ الآخرونْ

وتنالُنا الأسقامُ احياناً وينهشنا الألمْ

لو أنّ ذكرَى أو رجاءً أو نَدَمْ

يوماً تسُدُّ على بلادتنا السبيلْ

لو أنّنا نخشى الجنونْ

ويثير وحشتَنا السكونْ

لو أنّ راحتنا يعكّرها رحيلْ

أو صدمةٌ أو حزنُ حبّ مستحيلْ .

أوّاه لو كنا نموتُ كما يموت الآخرونْ

١٩٥٠/١/١

طريق العودة

نعودُ إذنْ فى الطريقِ الطويلْ
تُواجهُنا الأوجُهُ الجامده
يواجهنا كل شىء رأيناه منذ قليلْ
كما كان فى ركدةٍ بارده
نعودُ إذن ، لا ضياءٌ ينير
لأعيننا الخامده
نسير ونسحبُ أشلاءَ حُلْمٍ صغيرْ
دفنّاه بعد شبابٍ قصيرْ

●

نعودُ وهذا طريق الإيابْ

يمُدّ مرارتَه ورتابةَ أسراره ِ

نسير ويبرُزُ بابْ

هنا ، وجدارٌ هناكَ يسُدّ الطريقْ

بأحجاره ِ

وثَمّ سِياجٌ عتيقْ ،

تهدّم عند النَهَرْ .

وعابرةٌ ، دون معنىً تمُدّ البَصَرْ

إلى حيث لا نعلم ،

تمرُّ بنا ، لا تُفكّر فينا

وننسى ونجهل أنّا نسينا

ولا نفهمُ .

●

نعودُ إذن فى طريقِ الإيابِ المريرْ

وكنّا قطعناه منذ زمانٍ قصيرْ

وكنّا نسمّيه ، دون ارتيابٍ ، طريقَ الرّواحْ

ونعبُرُه فى ارتياحْ :

يمُدّ لنا كلّ شيءٍ نراه يدا

يكاد يُعانقُنا ويصُبّ علينا غدا

دفائقُه نَسَجَتْها المُنَى .

وكنّا نُسمّيه ، دون ارتيابٍ ، طريقَ الأملْ

فما لشذاه أفَلْ ؟

وفى لحظةٍ عاد يُدْعَى طريقَ المللْ ؟

وعُدْنا نسير ويُسْلمنا المُنحنَى

إلى آخَرٍ ضيّقٍ

ويدفعُنا كلُّ شيءٍ نراهْ

إلى يأسنا المُطْبِقِ

ونشعرُ أنّا ضَجِرْنا ضجرنا وعفْنا الحياه
وعُدْنا نمُجّ الحياه .

●

لماذا نعودْ ؟
أليسَ هناكَ مكانٌ وراء الوجودْ
نظَلُّ اليه نسيرْ
ولا نستطيع الوصولْ ؟
مكانٌ بعيدٌ يقود اليه طريقٌ طويلْ
يَظَلّ يسير يسيرْ
ولا ينتهى ، ليسَ منه قُفُولْ
هنالكَ لا يتكرّرُ مشهَدُ هذا الجدارْ
ولا شكلُ هذا الرِواقْ
ولا يُرْسِلُ النهْرُ فى مللٍ نغمةً لا تُطاقْ
نُصيخ لها فى احتقارْ

لأنَّ الطريقَ طريقُ الرجوعْ
لأنّا بلغنا نهايةَ دربِ الرّواحْ
وأصبح لا بُدَّ من أن نذوقَ الجراحْ
ونحنُ نسير ونقطع دربَ الرجوعْ
ونذرعُه بالدّموعْ

●

ألا بُدّ من أن نثوبْ
وتدفعُنا خلَجات المرارةِ دون حُلُمْ ؟
ألم ينطفِءْ كلّ حُلْمٍ كذوبْ
وها نحن نعلم أنّا بلغْنا القِمَمْ ؟
وسِرْنا على أوجها مرّةً ، ثمّ حانَ الإياب
وعُدْنا نجرّ قيودَ الألمْ
ونُدرك كيف تغيّرَ حتّى الترابْ
تغيّر حتّى الطريقْ

وأصبح يرفُضنُا فى ملالٍ وضيقْ
وعاد يصُبُّ علينا جُمُوداً عميقْ .

●

وعُدْنا نسيرْ
نجُرّ أحاسيسنا الراكده ،
وتصْدِمُنا الأوجه الجامده .
نسيرُ ، نسيرْ ،
نحدّق فى أىّ شيءٍ نراهْ ،
بهذا السياجِ المهدّمِ أو بسواهْ
نحدّق ، لا رغبةً فى النظرْ
ولكن ... لأنّ لنا أعينا .
نعلّق ، لا شوقَ يُغْرى بنا
ولكن لأنّا سئمنا السكونَ المخيفْ
ووقْعَ خطانا الرتيبات فوقَ الرصيفْ
سئمنا فأينَ المفرْ ؟

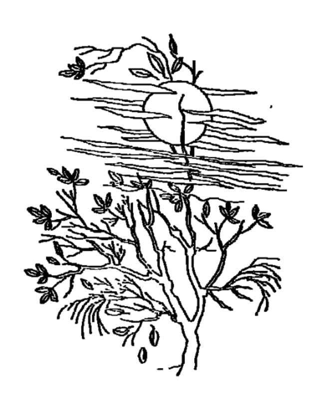
ولا بدَّ من أن نعُودْ

فليس هناك مكانٌ وراء الوجودْ

نظلّ اليه نسيرْ

ولا نستطيع الوصولْ .

١٥/٣/١٩٤٩



الأعـــــداء

نحن إذنْ أعـــــداءْ

من عالمٍ لا يفهم الأشواقْ

ولا يعى أغنيةَ الأحـــداقْ

أعينُنا لا تفهَم النجوى

الحبّ فيها ســيرةٌ تُروْىَ

كَان لهــا أمْسُ

وضمّــهُ رمسُ

من تربةِ البغضــاءْ

●

نحن إذنْ أعـــداءْ

تفْصِلُنا عوالمُ شاسعه
حُدودها المجهولة الضائعه
تبُثُّ فى دروبنا المستحيلْ
فنذرَع العُمْرَ الجديبَ الطويلْ
بحثاً عن البابِ
وحبّنا الخابى
يُغْرى بنا الصحراءْ

●

نحنُ إذنْ أعـــداءْ

ترقُدُ فى أعماقنـا الذكرى
مشلولةً ، ضائعـةً ، حيْرَى
المقت يُلْقِى فوقها ظلاًّ
والحقْد لم يُبْقِ لها شكلا

ولعنة الأيامْ

خلّفتِ الأحلامْ

فوقَ الثّرَى أشلاءْ

●

نحن إذنْ أعداءْ

وإن تكن تجمعُنا أحلامْ

من أمسنا أودتْ بها الأيّامْ

وإن تكن قد خلّفتْ أشياءْ

فى المُقلِ الفارغةِ الجدْباءْ

فى الأوجُهِ الذاويه

كنجمةٍ خابيه

تغرُبُ فى الظلماءْ

●

نحن إذنْ أعــــداءْ

وإن طغتْ فى دمنا الأشواقْ

ودبّتِ اليقْظــة فى الأرماقْ

وبيننــا عــوالم شتّى

نُدْركُهــا كما يعى المــوْتى

تحت الترابِ المُهينْ

وقْعَ خُطا العابرينْ

وضجّــةَ الأحيــاء

١٩٤٩/١١/٢٦

حصاد المصادفات

حينما يرقُد الهوى ميتاً فو
ق تراب الأيّامِ والأعوامِ
وتعود الذكرى صدىً جامد الوقـ
ـعِ لعهـدٍ مغلّفٍ بالظـلامِ
وتموت الألوان في المُقل الجد
باءِ في حسْرة وفي استسلامِ
ويُذيع الفراغُ أغنيةَ الجد
بِ وتطغى الفوْضى على الأنغامِ

•

حينما يُصبح الهــوى قصةً كا

نت ومرّتْ بالكونِ منذُ عصورِ

عشّشَ الصمتُ فى خرائبها النك

ـــراءِ خلفَ الخيالِ والتفكيرِ

وطوَى نبضَها انصبابُ البرود اا

ـــمُرّ فِى كلّ شهقةٍ وشُعورِ

وخمــود الفراغ لفّ صدَاها

بجمود الموْتَى وصمتِ القبورِ

●

وتُحس العيونُ أنّ عُيوناً

ماتَ فيها المغنى وعادتْ رمادا

لم تعدُ فِى أهدابها خلْجةٌ تسْ

تصرخ الشوقَ والصدى والسُهادا

ضاعَ فِي جوّها النداءُ وردّتْ
آهةٌ فِي السكونِ تنْعَى المُنادَى
وارتمت فِي أنحائها رَغباتُ الـ
أمسِ والذكرياتُ عادتْ جَمَادا

●

عند ما ينطوىِ النداءُ وتُمْحى
كلماتُ النجوى وتُطْوى الأمانِى
وتُحسُّ القلوبُ أنّ قلوباً
برَدت فِي أصابعِ النسيانِ
عنكبوت الجُمُودِ شبّك فيها
عُشَّهُ والسكونُ لفَّ الأغانِى
وغُبارُ السنينِ جرّ على الأشـ
ـواقِ سترْ اللاّلونِ واللاّ كيانِ

●

ربّما يلتقي هنالـــكَ طيفا

نِ من الأمسِ في شعابِ طريقِ

يعبُرانِ الحياةَ قد ضيّعا ممـ

ـــلكةَ الحبّ في الزمانِ السحيقِ

في برودٍ يمر كلٌّ على الآ

خرِ خابي العيونِ ميْتَ العُروقِ

لا شُعورٌ يلوح في أعين صَمّـــ

اءَ غرْقَى في لُجِّ صمتٍ عمـــيقِ

●

من حصَاد المُصَادفاتِ يمـــــرا

نِ كنجمينِ في امتداد الفضَاءِ

ربمّا لخّصا غرامهما المـــــا

ضِي بشبهِ ابتســـامةٍ جدْباءِ

رُبّما ألقيا التحيّةَ لا عُمْـــــ

ـــقَ لها ، في بُرودةِ الغُرَباءِ

ثُمّ سارا كأنّما لم تكنْ يـــو

ماً حياةٌ عطْشَى وراءَ الدّماءِ

١٩٤٩/١٠/١٣



النائمة في الشارع

فى الكَرَّادةِ ، فى ليلة أمطار ورياحْ
والظُلُمةُ سقْفٌ مُدّ وسترٌ ليس يُزَاحْ
انتصفَ الليل وملء الظُلْمةِ أمطارُ
وسكونٌ رطْبٌ يصرخُ فيه الإعصارُ
الشارعُ مهجورٌ تُعْوِل فيه الريحُ
تتوجّع أعمدةٌ وتنوحُ مصابيحُ
والحارس يَعْبرُ جَهْماً مرتعدَ الخُطُواتْ
يكشِفهُ البرق وتحجُبُ هيكلَهُ الظُلُماتْ

ليلٌ يجرفُه السيلُ . وينهشُهُ البَرْدُ
تنتفِض الظُلْمةُ فيه ويرتعشُ الرعْدُ

●

فى مُنْعَطَفِ الشارعِ ، فى ركنٍ مقرورِ
حَرَسَتْ ظُلْمتَه شرفةُ بيتٍ مهجورِ
كان البرق يمرُّ ويكشفُ جسْمَ صبيّه
رقدتْ يلسَعُها سوطُ الريحِ الشتويّه
الإحدَى عشْرةَ ناطقةٌ فى خدَّيْها
فى رقّةِ هيكلِها وبراءةِ عينَيْها
رَقَدَتْ فوقَ رخامِ الأرصفهِ الثلجيّه
تُعْوِل حول كرَاها ريحٌ تشرينيّه
ضَمّتْ كفّيْها فى جزَعٍ . فى إعياءِ
وتوسّدتِ الأرضَ الرطبةَ دون غطاءِ

لا تغفو ، لا تَغْفُلُ عن إعوالِ الرعْدِ

والحمّى تُلْهبُ هيكلَها ويدُ السّهْدِ

ظمأى ، ظمأى للنومِ ولكن لا نوما

ماذا تنسىَ ؟ ألبردُ ؟ الجوعُ ؟ أمِ الحمّى ؟

ألمٌ يبقَى ينهشُ ، لا يرحَمُ مخلبُهُ

السّهْدُ يضاعفُه والحمّى تُلْهبُهُ

نارُ الحمّى تُلْهمُها صوراً وحشيّه

أشباحٌ تركُضُ ، صيحاتٌ شيطانيّه

عبثاً تُخْفي عينَيْها وسُدىً لا تَنْتظِرْ

الظلمة لا تدري ، والحمّى لا تشعرُ

وتَظَلّ الطفلةُ راعشةً حتّى الفجرِ

حتّى يخبو الإعصارُ ولا أحدٌ يدري

●

أيّامُ طفولتها مرتْ فى الأحزانِ
تشريدٌ ، جوعٌ ، أعوامٌ من حرْمانِ

إحدَى عشْرةَ كانتْ حزْناً لا ينطفىءُ
والطفلةُ جوعٌ أزلىٌ ، تعَبٌ ، ظَمأ

ولمن تشكو ؟ لا أحدٌ يُنْصِت أو يُعْنَى
البشريّة لفْظٌ لا يسكُنُه معنى

والناس قناعٌ مصطنعُ اللونِ كَذُوبُ
خلفَ وداعتِهِ اختبأ الحِقْد المشبوبُ

والمجتمع البَشَرى صريعُ رؤىً وكئوسْ
والرحمة تبقى لفْظاً يُقْرأ فى القاموسْ

ونيامٌ فى الشارع يبقَوْنَ بلا مأوَى
لا حُمّى تشفَعُ عند الناسِ ولا شكوى

هذا الظُلْمُ المتوحّشُ باسمِ المدنيّه ،
باسم الإحساس ، فواخَجَل الانسانيّة

مرثية امرأة لاقيمة لها

« صور من زقاق بغدادي »

ذهبتْ ولم يَشحَبْ لها خدٌّ ولم ترجفْ شفاهُ
لم تَسمَع الأبوابُ قصةَ موتها تُروَى وتُروَى
لم ترتفعْ أستار نافذةٍ تسيلُ أسىً وشجوا
لتتابعَ التابوت بالتحديقِ حتى لا تراه
الا بقيّةَ هيكلٍ في الدربِ تُرعِشُه الذِكَرْ
نبأ تعثّر في الدروب فلم يجدْ مأوىً صداهُ
فأوَى الى النسيان في بعضِ الحُفَر
يرثي كآبتَه القمَرْ .

●



والليلُ أسلم نفسَهُ دون اهتمامٍ ، للصَباحْ

وأتى الضياءُ بصوتِ بائعة الحليبِ وبالصيامْ ،

بمُوَاءِ قطٍّ جائعٍ لم تَبْقَ منه سوى عظامْ ،

بمُشاجراتِ البائعين ، وبالمرارةِ والكفاحْ ،

بتراشُقِ الصبيان بالأحجارِ فى عَرْضِ الطريقْ ،

بمساربِ الماءِ الملوّثِ فى الأزقّةِ ، بالرياحْ ،

تلهو بأبوابِ السطوح بلا رفيقْ

فى شبهِ نسيانٍ عميقْ

١٩٥٢/٧/٩

الأرض المحجبة

صوّروها جنّةً سحريّةً

من رحيقٍ وورودٍ شفقيّه

وأراقوا فى رباها صُوَراً

من حنانٍ ، وتسابيحَ نقيّه

ثم قالوا إن فيها بلْسَماً

هيّأتْهُ لجراحِ البشريّه

وأردناها فلم نَظْفَرْ بها

ورَجَعْنا لأمانينا الشقيّه

●

الملايينُ عيُونٌ ظمئتْ

عز أن تملكَ سلوىً واحده

والملايين شفاهٌ عَطِشَتْ

ليس تُرْويها الوعود البارده

ذلك المشْعَلُ هاتوهُ فقد

أكلَ الليلُ العيونَ الساهده

وأمرّوه على أشباحنا

لترَوْا لونَ دمانا الجامده

●

عُمْرُنا كان طريقاً مُعْتِماً

فأنيروهُ الى القبْرِ أخيرا

وصِبانا كان جُرْحاً ساهداً

يشربُ الملْحَ ويقتات السعيرا

وأغانينا رَصَفناها أسىً

وسقفْناها غيوماً وهجيرا

وهَوَانا والمُنَى بعناهما

واشتريْنا بهما حزْناً كثيرا

●

أين ذاكَ النبْعُ ؟ فى أىّ ضحىً

سنُلاقيهِ ؟ وفى أيّةِ ليله ؟

لم نزلْ نَحفِر فى أعمارِنا

ظُلماتٍ ليس فيها طيفُ شُعْله

وزحفْنا وجرَرْنا معنا

ألفَ قيدٍ فى الأكف المضمحلّه

ووجدْنا دربَنا مقبرةً

ما لنا فيها سوى الموتَى أدلّه

●

حدثونا عن رخاءٍ ناعمٍ
فوجدْنا دربَنا جُوعاً وعُرْيا

وسَمِعْنا عن نقاءٍ وشذىً
فرأينا حولنا قبحاً وخزْيا

ورتَعْنا فى شقاءٍ قاتلٍ
وكَفَانَا بُؤسُنا شِبعاً وريّا

٥

وعرِينا وكسوْنا غيْرَنا
وكسبْنا القيدَ والله معَ السخيّا

٥

أينَ تلكَ الأرضُ؟ مَن حجبَها؟
نحنُ شدْناها برنّاتِ الفئوسِ

وأجمعْنا في الدجى أطفالنا

لنغذيها وجُدْنا بالنفوسِ

وزرعْنا وحصَدْنا عُمرَنا

وجنيْنا ظلمةَ الدهرِ العبُوسِ

وسقَيْنا أرضَها من دمنا

ومنحناها لأربابِ الكئوسِ

●

أين تلكَ الأرضُ ؟ هل حان لنا

أن نراها أم ستبقَى مُغْلَقَه ؟

لم تزَلْ فينا حنيناً صامتاً

وابتهالا في شفاهٍ مُطْبقه

والملايينُ حنينٌ جارفٌ

يتلظّى ورؤًى محترقه

افتحوا البابَ فقد صاح بنا
صوتُ آلافِ الضحايا المُرْهَقَه

●

صوتُهُم خشنَّةُ البؤس فما
فيه دِفءٌ أو بريقٌ أو لُيُونه

وحشاهُ الدمْعُ مِلْحاً قاسياً
وشكاياتٍ وجوعاً وخُشُونه

صوتُهُم خالطَهُ الصبرُ وكم
قد صَبَرْنا فى شُحُوبٍ وسكينه

لعنةُ الحس علينا إن يكنْ
غَدُنا كالأمسِ أقياداً مُهينه !

١٩٥٢/٥/١١

لنفترق

لنفترقِ الآنَ .ما دامَ في مُقلتَينا بريقْ

وما دام في قعرِ كأسي وكأسكَ بعضُ الرحيقْ

فعمّا قليلٍ يُطل الصباح ويخبو القمرْ

ونلمح في الضوء ما رسمتْهُ أكُف الضجَرْ

على جبهتَيْنا

وفي شفتينا

ونُدركُ أن الشعورَ الرقيقْ

مضى ساخراً وطواهُ القدَرْ

●

لنفترقِ الآنَ ، ما زالَ فى شفتينا نغمْ
تكبّرَ أن يكشفَ السر فاختار صمتَ العدَمْ
وما زال فى قطراتِ الندى شفةٌ تتغنّى
وما زال وجهُكَ مثلَ الظلامِ له ألف معنى
كستْه الظلالْ
جمالَ المُحَالْ
وقد يعتريهِ جُمُود الصَّنَمْ
إذا رفع الليلُ كفيّه عنّا

●

لنفترقِ الآنَ ، أسمعُ صوتاً وراء النخيلْ
رهيباً أجش الرنينِ يذكّرنى بالرحيلْ
وأشعر كفيّكَ ترتعشانِ كأنّكَ تُخفى
شعورَكَ مثلى وتحبسُ صرخةَ حُزْنٍ وخوفِ

لِمَ الإرتجافْ ؟

وفيمَ نخافْ ؟

ألسْنا سنُدْرك عمّا قليل

بأن الغرامَ غمامة صيفِ

•

لنفترقِ الآنَ ، كالغُرَباء ، وننسى الشُّعورْ

وفى الغد يُشْرقُ دهرٌ جديدٌ وتمضى عصور

وفيم التذكّر ؟ هل كانَ غير رؤىً عابره

أطافتْ هنا برفيقَيْنِ فى ساعةٍ غابره ؟

وغيرُ مساءْ

طواه الفَنَاءْ

وأبقى صداهُ وبعضَ سطورْ

من الشعرِ فى شفتَيْ شاعره ؟

•

لنفترقِ الآنَ . أشعر بالبردِ والخوفِ . دعْنا

نغادر هذا المكانَ ونرجع من حيثُ جئنا

غريبينِ نسحبُ عبءَ ادّكاراتِنا الباهته

وحيدينِ نحملُ أصداءَ قصتنا المائته

لبعض القبورْ

وراء العصورْ

هنالكَ لا يعرفُ الدهرُ عنّا

سوى لونِ أعيننا الصامته

٢٠/٣/١٩٤٨

سخرية الرماد

لو رَجَعْنا غداً وأراد الزمانْ
أن يرانا كما كنّا
والتقَيْنا فهل ينبضُ الميّتان
خلفَ ألواح صَدْرَيْنا

•

لو رَجَعْنا غداً ورآنا القَمَرْ
بعد غيبتنا الكبرى
ورأى كيف نمنح ما قد غَبَرْ
ومضى فُرْصةً أخرى

•

لو رَجَعْنا غداً ورأتْنا النجومْ

نجمعَ الذكرَ الذابله

نستعيد الهوَى ونظلّ نحومْ

حولَ أحلامِنا الراحله

●

لو رآنا الطريقُ نشُقّ السكونْ

بتعابيرنا الجامده

ويُخادعُنا ما طوتْه المنُونْ

من رغائبنا الخامده

●

ونُزيل رمَادَ شهورٍ طِوالْ

عن هوى لفّهُ المستحيلْ

فوقَ أشلائه ذكرياتٌ ثقالْ

من دموعى وحزْنى الطويلْ

●

ستَرانا النُجوم نسير معَا

يخدَع الليلَ مرآنا

خلفَ أهدابنا شغفٌ مُدّعى

ساتِرٌ سرّ ما كانا

●

وسيسخَر من شبحَيْنا القمَرْ

وهو يرقُب كيف نسيرْ

كيف ننشر ماقد طواه القَدَرْ

واحتواه سكون المصيرْ

●

وهناك نرى جثث الأشـــواق

في خمودٍ طويلٍ عميقْ

ويُخادعنـــا لونهـــا البرّاق

فنؤمّل أن تستفيقْ

●

ونرَى ركبَ أيّامنا الماضـــيه

لم يزلْ لاهثَ الأنفاسْ

فنمُدّ له الأذرعَ الذاويـــه

علّه يوقظ الإحساس

●

ويرَانا الدُّجَى راكعَيْنِ عـــلى

تُرْبةِ المرْقَد الجافيه

نَلْمسُ الجثثَ المرْسلاتِ إلى

الأفقِ أعينَها الخابيه

●

ويرانا الدجى فجأة فى عياء

فى أسىً غامقٍ شاردِ

واقفينِ نحس اصطدام الرجاء

بثرى الواقعِ الباردِ

●

ويمرُّ على جبهتينا المساء

بارداً مثل لوحِ جليدْ

وتعود كواكبُه البيضاء

أعيناً طفحتْ بالوعيدْ

●

ويشيّعنا القمرُ الهادئُ

ببرودٍ مثيرٍ غريبْ

ويُلاحقنا وجهُه الهازئُ

حيث سرنا بصمتٍ مُريبْ

●

ونُحسّ أخيراً بأنّ القضاءْ

قد طوَى حبّنا الآفلا

وبقينا حيَارَى هنُا غُرَباءْ

نذرَع العُمُرَ القاحلا

●

وهنالكَ سوف يُغنّي الرّمادْ

وسيسْخَرُ حتّى القَمَرْ

من أسانا ومن أمل لايُعَادْ

كان يوماً لنا واندثرْ

صائدة الماضى

انتظرنى ، غــداً سيقذف بى المــو

ج إلى شطّك الغريب البعيدِ

ثم تمشى بىَ السّنُون إلى با

بك بعد البحثِ الطويلِ المديدِ

وترانى خلفَ الزجاجِ أجُرّ الـ

أمسَ فى لهفةِ المشوقِ العنيدِ

أتحدّى الصخور فى الشاطىء العا

رى وألوى شموخها بنشيدى

●

انتظرنى ، وإن تمزّقَ فى صَدْ
رِكَ ماكان ذاتَ يومٍ رجاء

أو سمعتَ الرّياحَ تصرخ عاد الـ
حب ذكرى ورغبةً عمياء

أو رأيتَ النجومَ تُنْكِر فى أهْـ
دابكَ الشوقَ والصّدى والنداء

أو أبت مقلتاكَ أن ترسُمَا حُلْـ
ماً جديداً وثارتا كبرياء

●

وإذا وسوستْ بصدرك أشلا
ء الأمانى وزمجرت فى جنونِ

ومَضَتْ توقظ الشكوكَ وتُغْرى
بلياليكَ عاصفاتِ الظنونِ

وتخيّلتَ أنني بعت ذكـــرا

كَ وأمعنت فى الجمـــودِ المهينِ

فانتظرْنى ، لابد أنْ نلتقى يو

ماً وألوى بشكّكَ المجنـــونِ

●

سأصيد الأحـلام من أمســنا الها

ربِ حُلْماً حُلْماً،ووراءالزمانِ

وألُمُّ الأفراحَ من كل ركن

ضائعٍ فى مقــابرِ الأحــزانِ

ألقُط الذكرياتِ دون كـلالٍ

من غُبَار السكونِ والنســيانِ

وأناشيدُنا ألم صَـــــداهــا

وأعيــد الحيــاةَ للأوزانِ

●

ثم أمضى ، ينير لى وجهك التا

ريخ بحثاً عن حبّنا المغدور

ذلك الأمس ، لو عثرت عليه

فى زوايا التاريخ بين العصور

لأبثّ انتفاضة الحىّ فيه

وارتعاش الصدى ونبض الشعور

ثم نمشى معاً اليك ، إلى شطّ

طيك فوق الأمواج بين الصخور

●

وترانا فجاءة نصعد السلّ

لّم فى لهفة وشوق كلانا

أنا والأمس كله ، نطرق البا

ب غريبين لامسا الأوطانا

وتُحس النجوم أنّا رَجَعْنا

نعصر الدهْرَ لحظةً من هَوَانا

ويقول الزمان : عادا إلى الحب

وعاد الفراق وهْماً كانا

١٩٤٩/١٠/٢٤

إلى أختي سُهـــا

هيّا معي فالليـــل مختلج الدجَى حُباً وشعْرا
وعرائس الأحلام تفرشُ دربَنا لوناً وعطْرا
وهناك فى أعماقنا نَبَرات آلهـــةٍ تغنّى
ونُحِسّها تُلْقى إلينـــا ألفَ أغنيةٍ ولحنَ
هيّا معي تتبسم الدنيا إذا أنتِ ابتسمْتِ
ماذا يثـــير أساكِ ما دمنا نَظل ، أنا وأنتِ ؟

•

أالليـــل يعْرِفُنا ، خُطانا طالما زرعتْ دجَاه
والنجم يذكرنا فكم سهرتْ عليْنا مقلتـــاه

أختاه هاتى كفّكِ اليَمْنى فقــد حان المسيرُ
ألمجد يصرخ يستحث خطاكِ والحُلُم الكبير
لا ، لاتخافى أن تُخادعَكِ الرؤَى إن أنتِ جئتِ
فالليــل يَعْرِفُنا . ونحن معاً نَظَل أنا وأنتِ

●

سيرى معى فتحرّقُ المجهولِ يَصْخَبُ فى دِمانا
والأمس ، تلكَ الغُرْفة الصمّاء غابتْ عن رؤانا
ماذا يشُدّ هنــا ليالينا الحزيناتِ الشقيّه ؟
وهُناك فى الأفُقِ البعيدِ ضَبَاب شُطآنٍ خفيّه
ستُريق أنجمَها عــلى أقدامنا إن أنت جئتِ
وصَحبتني لنجوبَ آفاقَ الوجودِ ، أنا وأنتِ

●

وصحبتني ونسيتِ دربَ الذكرياتِ الكاسفه
حيث الصخور السود والحيّات تلهث زاحفه
حيث انجرحنا ثم لملمْنا الجراحَ على عجَلْ
ونهضْت تتبعُني خطاكِ الحائرات بلا أمــل

أختاه لاتبكي على الماضي سدًى ماقــد بكيتِ
لن يرجعَ الماضي وان نُحنْا عليه ، أنا وأنتِ

الهاربون

إلامَ نجرب سحيقَ البلادْ ؟

يعيث السراب بنا

تُناولُنا وَهْدةٌ لوهادْ

ويَخْدعُنا المُنْحنَى

•

وفيمَ أتينا ؟ يسائلُنا البحرْ : ماذا نُريد ؟

وتلحقُنا عرَبات الرياحِ وتبقى تُعيدْ

تُعيد السؤالْ

ولا زدّ إلا خطوط الملال
على صمتِ أوجُهنا فى الليالى الطوال
نَفرّ وتُدْركُنا من جديد

●

ويسألُنا الأفق أينَ نسافر ؟ أينَ نسيرْ ؟
ومن أى شىء هَرَبْنا ؟ وفيم ؟ لأى مصيرْ ؟
وفى صمتنا
قلوبٌ تدق ، ووقْع المُنَى
على يأسنا فَرَحٌ لايُطاق فهيّا بنا
لنبحثَ عن جُرحٍ حُزْنٍ صغيرْ

●

وفى سيرنا نسمع الليلَ يسخَر من سرنا
يلاحقُنا بالظلامِ ويُغْرى الرياحَ بنا

يقول الطريقْ

لماذا نجوب الوجودَ السحيقْ

يُلاحقنا أمسُنا ورؤانا ووجهٌ صديقٌ

وحتام نهرُبُ من ظلّنا ؟

●

وفي سيرنا في الدياجير نُبْصر هُزْءَ القَمَرْ

ويُغْضِبنا في سناه البرود ، وبعض الشَجَرْ

يسُدّ السبيلْ

علينا ، ويسخَرُ منّا الأصيلْ

ويُنْبِئنا أنّنا الباحثونَ عنِ المُستحيلْ

وأنّا ، برغمِ مُنانا ، بَشَرْ

ونسمَع من جنَبَاتِ المسالك ذات مساءْ

صدًى هامساً في الدجَى أنّنا ... أنّنا جُبَنَاء

نخاف الأصيلْ

ونرحل لارغبةً فى الرحيلْ

ولكن لنهربَ من ذاتنا ، من صِراع طويل

ومن أنّنا لم نزَلْ غُرَباءْ .

●

وها نحن ، حيث بدأنا ، نجوب الظلامَ الفظيعْ

شتاءٌ يموت ، وأسئلةٌ لم يُجِبْها ربيعْ

حَيَارَى العُيُونْ

يُسائلُنا غدنا مَنْ نكونْ ؟

ويتركُنا أمسنا المُنْطوى فى ضَبَابِ القُرونْ

فيا ليل ، يا بحر ، أينَ نضيعْ ؟

٢٩/١/١٩٥١

الولايات المتحدة

ماذا يقول النهر؟

« إلى الصديقة التى سألتنى ذات
مساء : ماذا يقول النهر ؟ » .

ماذا يقول النهرْ ؟

أقصوصةٌ

يَنْسجُهَا من رَقْص ضوءِ القَمَرْ

يَنْسجُهَا من غَزَلٍ ناعـــم

يُداعب النخْل بــه المنحدَرْ

من نور مصباح يُغـذّى الـدجى

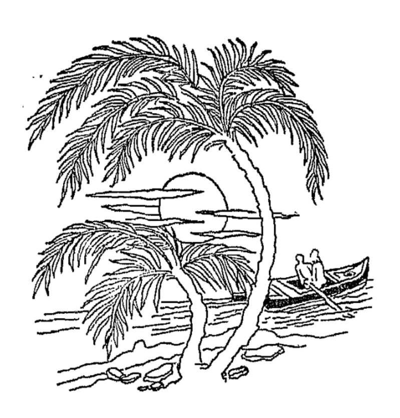
حرارةً ويستثير الشَجَـــرْ

من وقْعِ مجـدافٍ خفيفِ الخُطى
يشُقّ في الظلمة صَدْرَ النهَـر

●

ماذا يقـول النهْـرُ ؟
أغنيّةٌ
قديمةٌ ، بنت ليـالٍ طـوَال
غنّى أساهـا مرّةً عاشـقٌ
والليـل سكران بكأسِ الجمَال
مُشْقَلَةٌ بالدفء ، ما زال في
ألحانها بعض حنينِ الجِمَـال
وخشعةِ الهوْدجِ تحـت الـدجَى
ووقعِ أقـدام الحُداةِ الثقـال

●



ماذا يقول النهرُ ؟

تسبيحةٌ

من بابلِ النشوى بعطر البخُورْ

وموكبُ الكُهّانِ في معْبَدِ

دِجلةُ يطوى سرّه والصُخورْ

وذكرياتُ الليلِ والشمس عن

(مدينة الشمس) وراءَ العُصُورْ

وعن (حَمُّورابى) وعن حُبّه
وما طوَى سفْرُ الزمان الغَـــدورْ

●

ماذا يقـــول النهْرُ ؟

لا تسألى

دعى غلافَ السرّ كنزاً عميـــــقْ
لـــو كشفَ الزّنبقُ ألغـــازَهُ
لم يَبْقَ معنىً لشذاهُ الرقيـــقْ

١٩٥٠/٧/٢٧

ثلاث مراثٍ لأمى

قد يكون الشعر بالنسبة للانسان السعيد ترفاً ذهنياً محضاً ، غير أنه بالنسبة للمحزون وسيلة حياة . وقد كانت القصائد الثلاث التالية محاولة للتعزى لجأت إليها على أثر وفاة أمى فى ظروف محزنة عانيت منها معاناة خاصة . ولم أجد لألمى منفذا آخر غير أن أحبه وأغنى له

ن . م .

١ أغنية للحزن

أفسحوا الدربَ له ، للقادم الصافى الشعورِ ،

للغلام المُرْهَفِ السابحِ فى بحر أريــج ،

ذى الجبين الأبيض السارقِ أسرارَ الثلوجِ

إنّه جــاء إلينا عابراً خِصْبَ المُـــــرُور

إنه أهدأ من مـــاءِ الغديـــــر.

فاحــذَرُوا أن تجرحــوه بالضــجيج

●

إنّه ذاكَ الغلامُ الدائم الحُزْنِ الخجــول

ساكنُ الأمْسيةِ الغَرْقى بأحزانٍ خفيّــــه

والزوايا الغَيْهبيّاتِ السكونِ الشَفَقيّة
ابداً يجرحُه النَوْح ويُضْنيهِ العويلُ
فليكن من صمتنا ظلٌّ ظليلُ
يتلقّاه وأحضانٌ خفيّه

●

وهو يحيا فى الدموع الخُرْس فى بعضِ العيونِ
وله كوخٌ خفىّ شِيدَ فى عُمْق سحيقِ
ضائعٌ يعرفُهُ الباكون فى صمْتٍ عميقِ
وسُدًى يبحثُ عنْه الألمُ الخشْنُ الرنينِ
إنّه يقتات أسرارَ السكونِ
وأسىً مختبئاً خلفَ العروقِ

●

نحن هيّأنا له حبّاً وتقديساً ونجوى



وتهيّأنا للُقْياه عيوناً وشفاها

وسنَلْقاه مُصَلّينَ كما نلقى إلها

وسنُهْديه انفجارَ الأدمعِ العذْبةِ سلوى

وسنحبوه أسىً أقوى وأقوى

وسنُعْطيه عُيوناً وجباها

انّه أجمل من أفراحنا ، من كلّ حُبّ

●

انّه زنبقةٌ ألقى بها المـــوت علَيْنـــــا
لم تزل دافئةً ترعش فى شوقٍ يدَيْنـــا
وسنُعطيها مكاناً عَطِـــراً فى كلّ قلـــب
وشذَى حُزْنٍ عميق القَعْرِ خِصْبِ
انّه منـــا ... وقد عاد إلينـــا ..

١٩٥٣/٨/١٥

٢ مقدم الحزن

أفسحوا الدربَ ، إنّـــه جاء خجلا

نَ رقيقَ الخُطا كئيـــب الجبينِ

ألغـلامُ الحسّاس ذو الأعين الغَــر

قى بتاريخ ألفِ سرٍّ حــزينِ

إنه مُطْعم العيــونِ العميقــا

تِ وينبوع كلّ دمعٍ سخــينِ

ولقد جاءنا تُبلّلُ عينَيْـــ

ـهِ الدموعُ الخرساءُ عبر السنينِ

●

إنه حزننا الصبيّ لقينا
ه على غير موعدٍ وانتظارِ
لم يزَلْ هادئاً خجولاً كما كا
نَ وما زال غامقَ الأسرارِ
جاءنا دافئاً أرقّ من الدمْ
ع وأحلى من رعشة الأوتارِ
ففرشنا له طريقاً من اللهْ
فةِ والحبّ والدموع الغزارِ

●

وأخذناه فى خشوعٍ إلى أعـ
ماقِ أفراحنا وقعْر رؤانا
ومنحناه كلّ ما جمع الحب
من اللونِ والشذى لصبانا

ورصفنا له هـــوانا ومـــــا أبـــ

قَى لنـــا الموتُ والأسى من مُنَانا

وغسلنـــــــا جبينَـــــــه بدموع

صامتاتٍ عَطْشى تذوبُ حنانـــــا

●

انّه خيطنــــا الأخيرُ إلى السِرّ

وةِ فيه من أمسنا ألـــفُ شيءِ

لم يزَلْ هامساً لنا : « إنّهـــا مـــا

تتْ » على مسمع الشّذَى والضـــوءِ

إنّ فيــــه من وجهها وأمانيــــــــ

ها وأشواقهـــا بقيّـــة دفْءِ

وهو إحساسُها يعــــــود إلينـــــا

مُرْعِشاً من كياننا كلَّ جـــزءِ

●

إنه كـــلُّ ما تبقّى لنـــــــا من

وجه ضِحْكاتنا ورجْعِ الأغــانى

إنّ فيـــــه نهايـــــةَ الطَرَف الثـــا

نى لما هدّم الرَدَى من أمـــــــانى

فوهبنـــــــا له صـــــلاةً من الأد

مُعِ خَجْلَى مهموســـــــــةَ الألحانِ

ومنحنــــــــاه مسكناً فى مآقيـــــــــ

نـــا وحُبّـــا أقـــوى من النســـيانِ

١٩٥٣/٨/١٧

٣ الزهرة السوداء

كنزنا الغالى تركناه هُنا
لحظاتٍ ثم أسرعنا إليه
والتمسناه وراء المُنْحنَى
وعلى التلّ فلم نعثر عليه

●

وسألْنا عنْه فى الغابة ربوه
فأجابتْ أنّها قد نَسِيتَه
وهمسْنا باسمه فى سَمْع سرْوه
فتناست فى الدجى ما سمعتْه

●



غيرَ أنّ الفجرَ حيّى فى ابتسامْ
وأرانا فى مكان الكنزِ زهره
نبتت سوداءَ فى لون الظلامْ
وسقاها دمعُنا ليناً ونَضْره

•

كلّما مرّتْ بها ريح الصباحْ
بعثتْ فى الجوّ موسيقى خفيّه

وأنيناً خافتاً ملءَ الريـــــــاحْ

كمنَتْ فيــــه دمــوع البشريّــــه

•

انها زهرتُنـــــا الوسنى الحزينـــه

أمسُنا فى لونهـــــا ما زال لَدْنا

فمنحناها مآقينـــــــا السخينــــــه

وحملناها مع الذكرى وعُدْنـــــا

٢١/٨/١٩٥٣



يحكى أن حفارين

الزمان يسيرْ

بدقائقه المبطئاتِ الثقالْ

ساحباً خلفَه عرَباتِ الليالْ

مُثقَلاتٍ بأسرارها الداكناتْ

الزمانُ يسير ، يجُرّ الحيـــاهْ

وهنالكَ ، فوقَ بساطِ الرمالْ

حيث خلّفتِ العرَباتْ

أثراً من خُطَى العجلاتْ

لم نزَلْ نحن ، فى كلّ كفٍّ قَدُومْ ،

لم نَزَلْ نحفرُ الأرضَ فى وحشة ووجومْ
نحن نبكى هنا
والزمانُ يسير
نحفِرُ الأرضَ، نبحث عما أضعْنا هنا
والزمان يسيرْ

•

وحدَنا ، وحدَنا ، فى سكوتْ
صامتَيْنِ نُراقب كيفَ تموتْ
فى يدَيْنا وفى مقلتَيْنا العروقْ
وهنالك ينتظر الحىّ خلف الترابْ
فى أسىً وعذابْ
أن يُطلّ شُروقْ
أن يرانا أخيراً بأعيننا الكابيه
نعبُر الهاويه

لنعيدَ إليه الشَّبابْ
ذلك الحيّ فى الظُلُماتْ
آه لو لم تَمُتْ فى يَدَيْنا العُروقْ
لنُعيد إليه الحياهْ

●

« إحفر الآنَ وحدكَ .. ما عُدْتُ أقوىَ أنا .
« إحفر الأرضَ وحدكَ .. إنىّ أحسّ الفَناء
« ملءَ كفىّ وملءَ ذراعى ، أحسّ الرجاءْ
« يتلاشَى بعيداً وراءَ مَدَى المُنْحَنَى
« حيث مرّ الزمان بنا
« منذ بضْعِ مئاتِ السنينْ
« وغداً سيمرّ بنا من جديدْ
« فيراكَ لوحدِك تحفر فى حَسْرةٍ وحنينْ

«سيمرّ ونحفرُ أنتَ ركامَ الجليدْ
«في الثرى ، في عروقي أنا

●

ثم يأتي زمانْ
وتدبّ الحرارة في الجسدِ الجامدِ
جسدِ الرجل الحيّ في قبره البارد
وهنالك تحتَ الدجى ميّتانْ
جامدانِ كلوح جليدْ ،
ويمرّ الزمان العنيدْ
بهما من جديدْ
فيرى فيهما صاحبَيْنْ
طالما حفرا في الترابْ
حفرا في الضبابْ
ربّما حفرا في شحوب الخريفْ

أو عـبُوس الشتاءِ المخيفْ

طالما شوهدا يحفرانْ

يحفرانِ ، يظـلاّنِ فى لهفةٍ يحفرانْ

وهما الآنَ ، فوقَ الثَرَى ، ميـّتانْ

●

والزمان يسيرْ

ويجُـرّ رفاتـَهـُما فى الرمالْ

ويرى الرجل الميـّتَ الحىّ يطوى الليالْ

شارداً مـُفْـردا

لم يَعـُدْ يحتويه مكانْ

أو زمانْ

إنّـه قد أضاع الغدا

وتبقّى له الأمس والميّتانْ

... واستمرّ يسير الزمانْ ...

١٩٤٩/١/٢٤

الزائر الذى لم يجئ

.. ومرّ المساء ، وكادَ يغيبُ جبينُ القَمَرْ
وكدنا نُشيّع ساعاتِ أمسيةٍ ثانيه
ونَشهد كيفَ تسير السعادةُ للهاوية
ولم تأتِ أنتَ .. وضِعتَ مع الأمنياتِ الأخَرْ
وأبقيتَ كرسيّك الخاليا
يُشاغِلُ مجلسَنا الذاويا
ويبقىَ يَضِجّ ويسأل عن زائرٍ لم يجىءْ

●

وما كنت أعلم أنّكَ إن غبتَ خلفَ السنينْ

تخلّف ظلّكَ في كل لفظٍ وفي كلّ معنى
وفي كلّ زاويةٍ من رؤايَ وفي كلّ مَحْنَى
وما كنتُ أعلمُ أنّكَ أقوى من الحاضرينْ
وأنّ مئاتٍ من الزائرينْ
يضيعون في لحظةٍ من حنينْ
يَمُدّ ويَجْزُرُ شوقاً إلى زائرٍ لم يجيءْ

●

ولو كنتَ جئتَ ... وكنّا جلسْنا مع الآخَرينْ
ودار الحديث دوائرَ وانشعَبَ الأصدقاءْ
أما كنتَ تُصْبحُ كالحاضرين ؟ وكان المساءْ
يمُرّ ونحنُ نقلّب أعينَنا حائرينْ
ونسأل حتّ فَراغَ الكراسى
عن الغائبينَ وراءَ الأماسى

ونصرخُ أنّ لنا بينَهُم زائراً لم يجيءْ ؟

•

ولو جئت يوماً — وما زلت أوثرُ ألاّ تجيءْ —
لَجفّ عبيرُ الفرَاغ الملوّن في ذكرياتي
وقُصّ جناحُ التخيّل واكتأبتْ أغنياتي
وأمسكتُ في راحتيّ حطامَ رجائي البريءْ
وأدركت أنيّ أحبّك حُلْما
ومادمتَ قدجئتَ لحماً وعظما
سأحْلُمُ بالزائر المستحيلِ الذي لم يجيءْ

١٩٥٢/٨/١٨

الراقصة المذبوحة

ارْقُصى مذبوحةَ القلْب وغَـــنّى

واضحكى فالجُرْح رَقْص وابتسامُ

إسألى المـــوتَى الضحايا أن يناموا

وارقُصى أنتِ وغَـــنّى واطمئنى

•

أدمـــوعٌ؟ أســكتى الدمـــعَ السخينا

واعصُرى من صرخة الجُرْح ابتساما

أانفجارٌ ؟ هـــدأ الجُرْح وناما

فاتركيه واعبُدى القيدَ المُـــهينا

ثورةٌ ؟ لا تُبْغضي السوطَ المُلحّا
أيّ معنىً لاختلاجاتِ الضحايا ؟
بعض أحزانٍ ستُنسَى ، ورزايا
وقتيلٌ أو قتيلان ، وجَــرْحَى

●

إقْبسي من جُرْحكِ المُحرقِ لحنا
رنّميه بالشّفاهِ الظــامئــاتِ
لم تزلْ فيها بقايا من حياةٍ
لنشيدٍ لم يَفضْ بؤساً وحُزْنا

●

صرخةٌ ؟ أيّ جحودٍ وجُنونٍ !
أتركي قتْلاكِ صَرْعَى دون دفْن
واحدٌ مات ... فلا صرخةَ حزنٍ !
أيّ معنىً لانتفاضاتِ السجين ؟

انتفاضاتٌ ؟ وفى الشّعب بقايا
من عروقٍ لم تَسل نبعَ دماء ؟
انفجاراتٌ ؟ وبعض الأبرياء
بعضُهُم لم يسقُطُوا بعدُ ضحايا ؟

•

لم يكن جُرحُكِ بدعاً فى الجُروح
فارقُصى فى سكرةِ الحزنِ المميت
الأرقّاء الحيارَى للسكوتِ
احتجاجاتٌ ؟ لماذا ؟ إستريحى !

•

اضحكى للمُدْيةِ الحمراءِ حُبّاً
واسقُطى فوقَ الثرى دون اختلاج
منّةٌ أن تُذْبحى ذبحَ النعاج
منّةٌ أن تُطْعِنى روحاً وقلبا

وجنونٌ يا ضحايا أن تثــورى
وجنونٌ غضبة الأسرى العبيــدِ
أُرقصى رَقْصــة مُمْتَنٍّ ســعيدِ
وابسمى فى غِبطة العبْدِ الأجـــيرِ

●

أسكتى الجُرْحَ حرَامٌ أن يئنّا
وابسمى للقاتل الجــانى افــتتانا
امنحيه قلبَــكِ الحــرّ المُهانا
ودعيه ينتشى حَـــزًّا وطَعْنا

●

وارقُصى مذبوحةَ القلب وغنّى
واضحكى فالجُرح رَقصٌ وابتسام
إسألى الموتَى الضحايا أن يناموا
وارقصى أنتِ وغــنّى واطمئنّى

١٩٤٨

الشخص الثانى

لو جئتَ غداً وعبرتَ حُدودَ الأمس إلى غدىَ الموعودْ
وشدا فَرَحاً بمجيئكَ حتى المعْبَر والباب المسْدودْ
ولقيتك أبحث فيك عن المتبقّى من أمسى المفقودْ
لو جئتَ ولم أجدِ الماثلَ فى ألحانى
وأطلّ على روحى منك الشخص الثانى

•

الشخص الثانى ، من أعماقِ شُهورِ التيهِ المطموره
حاكته دقائق تلك الأيّامِ الجانيةِ المغروره

وترسّبَ في عينَيْهِ تثاقُلُها ورُؤاها المذعوره

وسأبحث فيكَ عن الماضي في اطمئنانِ

فيفاجىءُ لهفتيَ الحرّى الشخصُ الثاني

●

وهناكَ على الوجهِ الحسّاس الحيّ الصمتِ أرى ظلّيْنْ

ومكانَ الواحدِ في عينيكَ المرهفتَيْن أحس اثنَيْنْ

ويقابلُني الشخصانِ معاً وسُدىً أرجو فصْلَ الضدّيْنْ

وسأسأل عمّا خلّفَه لي عامان

من وجهكَ، والردّ جبينُ الشخصِ الثاني

●

وسيسكن هذا الشخصُ الثاني الأحمقُ حتى في البَسَمات

سيمدُّ برودتَه في رقّةِ صوتكَ، في لين النبَراتْ

وسيرمقُنى فى خبُثٍ ، مختبئاً حتىّ خلفَ الكلماتْ

ولمن أشكو هــذا المخلوقَ الشيطانى

والأول فيكَ محتهّ يد الشخصِ الثانى ؟

١٩٥١/١٠/٩



عندما قتلت حبى

وأبغضتُكَ لم يبقَ سوى مقتٍ أناجيهِ

وأسقيهِ دماءَ غدى وأغرِق حاضرى فيهِ

وأطعمهُ لظى اللعنَاتِ والثورةِ والنقمه

وأسمعهُ صُراخَ الحقدِ فى أغنيةٍ جهنمه

ومن إغفاءة الموتى أغذيهِ

وأنثر حولَه الأشباحَ والظلمه

●

وأبغضتُ اسمكَ الملعونَ والأصداءَ والظلا

كرهت اللونَ والنغمةَ والايقاعَ والشكلا
وتلك الذكريات الخشْنة الممقوتة الفظّه
هوَتْ وتأكّلتْ وثوتْ مع الآبادِ فى لحظه
وعدت قصيدةً فجريّةً جدْلى
وقلت الأمس ماعاد سوى لفظه

●

وتمّ النصر لى وهوَيْتَ تمثالاً الى الهُوّه
وجئتُ لأدْفنَ الأشلاءَ تحت كآبة السروه
وراح الرّفْش فى كفّى يشُقّ الارض فى نَهَمِ
فلامسَ فى الثرى جسداً رهيباً باردَ القدَمِ
ورحت أجرّه للضوءِ مزْهوّه
فمن كان ؟
بقايا جُثّة الندَمِ

●

وكان الليل مرآةً فأبصرت بها كُرْهى
وأمسى الميْتَ لكنّى لم أعثر على كُنْهى
وكنت قتلتُكَ الساعةَ فى ليلى وفى كأسى
وكنت أشيّع المقتولَ فى بُطْءٍ الى الرمْسِ
فأدركت ولونُ اليأس فى وجهى
بأنّى قطّ لم أقتلْ سوى نفسى

١٩٥٢/٥/١٢

لحن النسيان

لِمَ يا حياه
تذوى عذوبتك الطريّة فى الشفاه ؟
لِمَ ، وارتطام الكأس بالفم لم يزل
فى السمع همس من صداه ؟

●

ولِمَ الملل
يبقى يعشش فى الكئوس مع الامل
ويعيش حتى فى مرور يد حلم

فوقَ المباسمِ والمُقَلْ ؟

●

ولِمَ الألمْ
يبقى رحيقَ المذاق ، أعزّ حتّى من نَغَمْ ؟
ولِمَ الكواكب حين تغرب فى الأفُقْ
تفترّ جذلَى للعَدَمْ ؟

●

ولِمَ الفرَقْ
يحيَى على بعضِ الجباهِ مع الأرَقْ
وتنام آلاف العيونِ الى الصَباحْ
دون انفعالٍ أو قَلَقْ ؟

●



وَلِمَ الرِّياحْ

لَمْ تدرِ حتى الآنَ أنَّ لنا جراحْ ؟

لَمْ تدرِ كم حملتْه من ملْحِ البحارْ

لجراحنا هي والنّواحْ ؟

●

وَلِمَ النّهارْ

ينسى بأنَّ مدامعاً حرّى غِزارْ

تأبى التألّقَ فى الجفــــون المُشْخَنَـــة
وتوَدّ لو هبط الستارْ ؟

●

والأزمنه
كم ذكرياتٍ كم فواجـــعَ مُحزْنه
ضمّتْ صحائفُهـــا وكم رَقَدَ التُراب
فــوقَ الخُــدودِ الليّنه

●

ولِمَ الغيابْ
يفتّنّ فى رشّ الجَمـــالِ عـــلى هضابْ
بَعُدَتْ ، عـــلى كلّ الوجوهِ الغامضاتْ
خلف المَرامى والشعابْ ؟

●

والأُغنياتْ

اوّاه لو كانتْ تعيش مع الحياه

وتَظَلّ نابضةً وإن نُسِيَ الغَرامْ

ولحونُه المتنهّداتْ

١٩٥١/١/١٧

الولايات المتحدة

كلمات

شكوت الى الريح وَحدةَ قلبي وطولَ انفرادى

فجاءت معطّرةً بأريجِ ليالى الحصادِ

وألقتْ عبيرَ البنفسَجِ والوردِ فوق سُهَادى

ومدّتْ شَذاها لخدّى الكليلِ مكانَ الوسادِ

وروّت حنيني بنجوى غديرٍ يُغنّى لوادِ

وقالتْ : لأجلكِ كان العبيرُ ولونُ الوهادِ

ومن أجلِ قلبكِ وحدكِ جئت الوجودَ الجميلْ

ففيمَ العويل ؟

وصدّقتُها ثم جاءَ المساء الطويلْ

وساد السكونُ عُبابَ الظلام الثقيلْ

فساءلت ليلى : أحقٌّ حديثُ الرياحْ ؟

فردّ الدُجَى ساخرَ القَسَمات :

« أصدّقتِها ؟ إنها كلماتْ . »

●

وأصغيتُ فى فجرِ عمْرى الى أغنياتِ البَشَرْ

وشاركتُهُم رَقْصَهم فى شُحُوبِ ليالى القَمَرْ

وغنّيتُ مثلَهمُ بالسعادةِ ، بالمُنْتَظَرْ

بشىء سيأتى ، بيوتوبيا فى سنينٍ أُخَرْ

وآمنتُ أنّ حياةً بلونِ النّدَى والزّهَرْ

ستمسح أيّامنا المُثْقَلات بعبءِ الضجَرْ

وقالوا لنا فى أغاريدهم إننا خالدونْ

خلودَ القُرونْ

وصدقتُهم ثُم جاءَ المساءُ الصديقْ
يجرّ سلاسلَه فى جمودٍ وضيقْ
فساءلتُه : أهوَ حقٌ هتَافُ البَشَرْ ؟
فحدّق بى صائحاً : « يا فتاهْ !
أصدّقِتِهمْ ؟ إنها كلماتْ . »

●

وكم مرّةٍ جَدّل العاشقون الأمانى الوِضاءْ
وكم عصروا فى كئوسِ التخيّل شهْدَ الوفاءْ
وراحوا على حُبّهم يُشْهدون نجومَ السماءْ
ووقْعَ الندَى فوق خدّ الصباح ، وصمْتِ المساءْ
وكم أقسموا بالهوى أنّهم أبداً أوفياءْ
وأنّ الوجودَ يموتُ وحبّهُمُ للبقاءْ
وقالوا : هوًى واحدٌ خالدٌ يتحدّى العَدَمْ
ويَرْضى الألمْ

وصدّقتُهُم ثم جاءَ المساء اللطيفْ

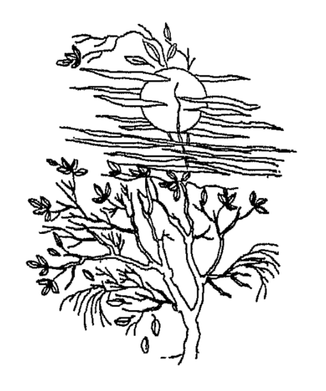
هنالكَ ذات دجىً من أماسى الخريفْ

وساءلتُهُ أهْىَ حقٌّ رؤى العاشقينْ ؟

فغمغمَ مستهـزئَ النـبراتْ

أصـدّقتِهم ؟ إنّهـا كلماتْ . »

١٩٥٢/٥/٢٨



السلم المنهار

استرحنا ، كُشِفَ اللغزُ وماتَ المُبهَمُ
وتلاشت حُرقةُ الأحلامِ فى لونِ العيونْ
استرحنا ، هدأ الشوقُ وواراهُ السكونْ
استرحنا نحنُ ، وارتاحَ الزمانُ النَّهِمُ
وغداً ينهزم الماضى بعيدا
وترى أعيننا شيئاً جديدا

•

الشفاه الزرق فى أوجهنا الآنَ ستصفو
من جديدٍ ، فلقد ذابَ الهوى عندَ الشروقِ

والعيـــون المُثْقلات الصمْتِ بالسُهْد العميق
ســتنام الآنَ لا يوقظهـــا حبّ وعُنْفُ
وغـــداً يعرِف قلبـــانا بأنّا
قـــد دفنّا الحبّ حيّاً وانتهينا

●

والعُروقُ المُلْهَبَاتُ الدمِ قد حانَ كرَاها
حسْبُها ما جلجـل الإعصـــار فى أعماقهـــا ،
وزهور الحُلْمِ لم تسكُبْ على أوراقها
أىّ لونٍ ، إنها ماتت ولن يحيَا شذاها
هــدأ القلبانِ ، لا تخشَ ارتعاشا
مات عِرْقُ الحب فينـــا وتلاشى

●

وأفقْنا وانتهى الشيءُ الذى خِلْناهُ حبّا
وتبقّتْ حولنا الذكرى التى تَسْخَرُ منّا ،

من خيالاتِ صغيرَيْنِ بدا نجْمٌ فظنّا

أنّ في وسعهما أن يُمْسكاهُ فاشرأبّا

لحظـةً ، ثم تهـاوى السُلَّمُ ،

في برُودٍ ، وتلاشَى الحـلم

●

سرْ يميناً أنتَ واتركْني أسر وحدى شِمالا

فمن المُضْحكِ أن نبقَى هنا كالغُرَباءِ ،

تصرخ الوَحْدةُ في أعيننا دونَ انتهاءِ

ويَرشّ الصمْتُ لُقْيانا برُوداً ومَلالا

حسبُنا أنّا أضعنا ما أضعنا

من زمانٍ ، فلنَعُدْ من حيث جئنا

١٩٤٨/٨/٨

غسلاً للعار

«أمّاه!» وحشرجةٌ ودموعٌ وسوادُ ،

وانبجسَ الدمُ واختلج الجسمُ المطعونُ

والشَّعْرُ المتموج عشّشَ فيه الطين

« أمّاه ! » ولم يسمَعْها إلا الجلاّد

وغداً سيجيء الفجرُ وتصحو الأورادُ

والعشرون تُنادى والأملُ المفتونُ

فتجيب المرْبَجةُ والأزهارْ

رحلتْ عنا ... غسلاً للعارْ

ويعود الجلادُ الوحشيُّ ويلْقى الناسْ

«ألعارُ؟» ويمسحُ مُدْيتَه «مزّقْنا العارْ»

«ورجعْنا فُضَلاءَ، بيضَ السُمْعةِ أحرارْ»

«يا ربَّ الحانةِ، أين الخمرُ؟ وأين الكاسْ؟»

«نادِ الغانيةَ الكسْلى العاطرةَ الأنفاسْ»

«أفدى عينيها بالقُرآنِ وبالأقدارْ»

إملأْ كاساتكَ يا جزّارْ

وعلى المقتولةِ غسْلُ العارْ

●

وسيأتي الفجر وتسأل عنها الفتياتُ،

«أينَ تراها؟» فيردّ الوحش «قتلناها»

«وصمةُ عارٍ في جبهتنا وغسلناها»

وستحكي قصّتها السوداءَ الجاراتُ،

وسترْويها في الحارةِ حتى النخْلاتُ،

حتى الأبوابُ الخشبيّةُ لن تنْسـاها

وستهمِسُها حتى الأحجارْ

غسلاً للعارْ ..

غسلاً للعارْ ..

●

« يا جاراتِ الحارةِ ، يا فتَيَاتِ القريه »

« ألخبزُ سنعجنُه بدموعِ مآقينـا »

« سنقَصُّ جدائلَنـا وسنسلُخُ أيدينا »

« لتظلَّ ثيابُهُم بيضَ اللونِ نقيّه »

« لا بسمةَ ، لافرحةَ ، لالفتةَ فالمُدْيه »

« ترْقُبُنا فى قبضة والدنا وأخينا »

« وغداً من يدرى أىُّ قِفارْ »

« ستُوارينا غسلاً للعارْ ؟ »

١٩٤٩/١١/٢٦

الرحيل

سنرحل لاح صباحٌ عميقٌ وراء السّوادْ
ولم يَبْقَ الاّ ضبابٌ خفيفٌ يلفّ الوهـادْ
ويحلُم مكتئبا فى عيونٍ طواها السُهادْ
وصاغتْ مع الليل أغنيةَ الرحْلةِ القادمه
إلى أفقٍ كوكبيّ الستُورْ
يمدّ جـذورْ

وراء مسالكنا القاتمـه

●

سنرحلُ فالأنجُمُ الوامقــات تُشــير لنــا

أصابعُها اللدْنة المخمليّة فى دربنــــا

تُطرّزُ كلَّ غــدٍ قادمٍ بخيوط المــنى

تقود خُطانا خلالَ الشعابِ الطوال المُمِضّه

سنرحلُ بعد زمانٍ قصيرْ

وعَصْرٍ صغيرْ

فلم يَبْقَ من ليلنا غيرُ ومضه

•

ومن سنواتِ الإسارِ الممزّقِ ، من ألفِ ظُلْمه

تلُفّ مدّى أسوداً لاتَمَسّ دياجيه نجمه

ستُبْدِلُنا حافة الكأسِ قطرةَ حُبٍّ وبَسْمه

وتحملُنا عَرَباتُ الكواكبِ عبرَ الحُزونْ

وراء بحار الندى والظلال ْ

وحيث الجمال ْ

يُمَسّ ويشربُهُ المتعَبون

●

وداعاً صَحَارَى العويل فقد حان فجرُ السنين ْ

وآنَ لنا أن نجوبَ البحارَ مع الراحلين ْ

عَطِشْنا طويلاً وكانت كئوسُكِ مَلأى أنين ْ

ينوح الفَرَاغُ عليها وموكبُنا الباحثُ

تجرّع حتى كئوسَ الدموع ْ

ونارَ الضلوع ْ

وجُنّ به شوقُهُ اللاهثُ

●

وفى الغد ، من بَعْدِنا ، إن أطلّ جبين القَمَر ْ

ولامسَ ضوءُ النجومِ النشاوَى خريرَ النَّهَر ْ

ورنَّ مع الليلِ صوتٌ بعيدُ الصَّدَى واندَثَرْ

كما رنَّ ، يسأل عنّا وأينَ رمتْنا البحورْ

فقولى له إنّنا لن نعــودْ

لأرضِ القيودْ

فقد أشرق الفجر منذ عصورْ

١٩٥٠/٨/٥

الخيبة

عُدنا إلى الأرضِ وكانَ الطريقْ

طريقَنا الأوّلا

والجُهْدُ لم يُبْقِ لنا من بريقْ

خلّفَهُ الأمس النضيرُ الوريقْ

عبرَ الرؤى مُشْعَلا

●

عُدْنا وألفينا الرُّبا والحُقولْ

كما تركناها

الشمس ما زالتْ تُغذّى السُهولْ
يتبعُها الليلُ البطىءُ الكسولْ
يمحو بقاياها

●

والناس مازالوا هنا يزرعونْ
ويَحْصِدونَ الهُمومْ
الشمسُ تدرى أنّهم يَغْمِسُونْ
ذنوبَهُمْ فى ظُلُمات القرونْ
ويرمُقُونَ النجومْ

●

ونحن ما زلنا كما كنّا
أولئكَ الحَمْقَى

الليـل يمضى سـاخراً منّـا

والفجـرُ يَرْوى للدجَى أنّـا

نشرَبُ ما نُسْـقى

●

وأمسِ فى القافلةِ الراحـلـه

سرنا مع السـائرينْ

نقطع آلافَ الرّبى الماحله

وعندما أرستْ بنـا القافله

بعـد انصرام السنينْ

●

جُنَّتْ بنـا خيبتُنا وانطـوَى

ما كان مأمولا

وهدّنا عبءُ الأسى والجَوىَ

فهذه خلفَ الرّبا والهــوَى

بُقّعتُنـــــا الأولى

١٩٥٢/١/٥

أسطورة عينين

عينانِ طِلَّسْمٌ ولُغْزٌ أصمْ
يَحَار فى تفسيره التائهون
غيبانِ من عهْدٍ سحيقِ القدَمْ
وضَفّتا شطٌّ طوتْه القُرونْ

●

عينانِ لونٌ نابضٌ ساخنُ
شىءٌ من الشرقِ لذيذ الفُتورْ
وفيهما العرّاف والكاهن
ومعبَدٌ مخدّرٌ بالبَخُورْ

●

عينانِ أمْ مزارعٌ فى الظلالْ
تُرَقرِقُ العبير فى الأوديه ؟
وهُدْبها أم رعشة البرتقالْ ؟
أم نجمةٌ تخفق ؟ أم أغنيه ؟

●

عينانِ أم عوالمٌ شاسعه ؟
وبؤبؤٌ أم دعوةٌ للرّحيلْ ؟
بابٌ إلى يوتوبيا ضائعه
ومَعْبرٌ ينْتَهى إلى المستحيلْ

●

وفى مَطاويها وِسَاد الحُلُمْ
ومن حواشيها ارتواء الوَتَرْ
عينانِ ما كاد يعيها النغَمْ
حتى دعا أشواقَه وانفجَرْ

●

وذلك العمقُ الذى لا يُحَـــدْ

يحمـــل للرّائينَ سرّ الظمـــأ

أحسّ فيه لا انتهاء الأبَــدْ

وموكبَ التأريخ منـــذ ابتـــدأ

•

يَرْوونَ عنْهـــا أنّ أغوارَها

ذوبُ نجومٍ أطفأتْها الســـنينْ

وأنّ من أدركَ أسرارها

فلكّ الرّدَى عنه الإسارَ المُهِينْ

•

وأنّها ، كما رَوَى آخَرونْ ،

بقيّـــةٌ من أعيُنٍ آفله :

عينا (ملدوزا) أفرغَ الساحرونْ
ما فيهما من قوّةٍ قاتله

●

ستلبث العينانِ سرّا عميقْ
ويذرع الراوونَ أرضَ الخيالْ
أسطورةٌ تظلّ سكرَى البريقْ
ما بَقِيَ الشعْرُ وعاشَ الجَمالْ

الوصول

سأحبّ نفسى فى ارتعاش ظلالها تحيي عصُورْ
ملأى بألوانِ الخيالْ
وهناك فى أحنائها ألقى الجمالْ
وعوالماً نجميّةَ الإشراقِ مُسْكرة العطورْ
وهناك كم لونٍ ترسّب فى كئوس الذكرياتْ
كم قصّةٍ نامتْ وغطّتْ سرّها خلفَ الشُعُورْ
كم خطفةٍ من طيفِ حُبّ عاش حيناً ثم ماتْ
كم نغمةٍ فى ذاتِ صيفٍ ، عند ماكان المساء
متثاقلاً نعسانَ ، فى بعض القُرَى

وأنا أغنّيها وأرقُب فى ارتخاء
ظلّ النخيلِ على الثرَى .

●

سأحبّ نفسى ، فى صفاء ظلالها أجدُ الصفاء
طال التغرّبُ والتلالُ تلوّنتْ بدمِ الغروبْ
حتى النهارُ أوى إلى سُرُرِ المساء
لم يَبْقَ جوّالٌ سوايَ أنا وقلبى فى السهوبْ
لم يَبْقَ إلا أنا وآهاتُ المداخنِ من بعيد
وكآبةُ الليلِ الجديد

●

ولقد وصلنا . ها هنا يحيا الجمالُ ،
والدفءُ ، والشمسُ الأنيقةُ ، والسكونْ ،
والإمتدادُ وعالمٌ يسَعُ القرُون

بحرٌ من الألوان يخلقُهُ الخيالْ

وتموج فوق مداه آلاف الظِلالْ

●

يا صمتَ نفسى عدْتُ عدْت إليكَ بعد سُرَى سنين

ضاقت بتَطْوافى البحارْ

وشكا النّهارْ

ما حمّلتْه رؤاىَ من عبءِ الحنينْ

لم ألقَ غيرَكَ لى نصيرا

فى ظلمة الليل المُضِلّ

فافتح لىَ البابَ الأخيرا

دعنى أمُرُّ

... أنا وظلّى ...

١٩٥١/٣/٦

الولايات المتحدة

أغنية لشمس الشتاء

أشيعى الحرارةَ والرفقَ فى لَمَسات الرّياحْ
ولفّى جدائلكِ الشُقْرَ حولَ الفِجاج الفساحْ
وهذا التحرّق فى شفتيْكِ أريقى لظــــاهْ
على طَبَقات الثلوج الكثيفةِ فوقَ الميــــاهْ
أذيبى بهــا قَطَراتِ الجليــدْ
عن العُشْبِ ، عن زهرةٍ لا تُريدْ
فراق الحيــاهْ
فما زال فيهـــا رحيقٌ تخبّئُهُ للصـــباحْ

•

ومن دفء عينيكِ من ضوءِ هذا الجبينِ السعيدْ
أريقى عصيرَ البنفسجِ فوقَ الفضاءِ المديدْ
ومن لونِ هذى الجدائلِ رشّى ازرقاقَ الأثيرْ
وصبى البريقَ الملوّنَ فوقَ مرايا الغديــرْ
ومن عطرِ هذا الضياءِ المــذابْ
أريقى على صَفَحات الضبابْ
ربيعاً نضــيرْ
يحيلُ البرودةَ فيهِ إلى دفءِ حبٍّ جديدْ

●

أصــابعكِ الدافئات المــرورِ اضغطى شعرَها
وأحلامَها فوقَ زهرةِ فُلٍّ طوت سرّها
ونامتْ مُلفّعة بجــليدِ المساء القريــبْ
تذوب اشتياقاً لضوئكِ ، للحبّ ، للعندليبْ

أطلّى بوجهكِ في سجنها

فقد جَـمَـدَ الشعر في لونها

وعاد شُحوبْ

تسائلُهُ هَمَسَاتُ العصافيرِ عن سحرها

•

وروحى الذى رَسَبتْ في مُنَاه ثُلوجُ الملالْ

ولاذ بزاوية جَهْمةٍ من زوايا الخيالْ

دعيهِ يُعانقْك سكرانَ من وهجِ هذا البريقْ

ويشربُ يشربُ هذا الضياءَ ولا يستفيقْ

يفيض عليه سناكِ الحنونْ

ويُرْسلُهُ شُعْلةً من جنونْ

ولحناً رفيقْ

نذرتُ مقاطعَهُ لعذوبةِ هذا الجمالْ

•

دعيني ! هنا لا أحسُّ سوى روحكِ الشارده
تُقبِّل شَعري ، وتُدفئُ أحلامِيَ البارده
هنا أنتِ ، بنت حقولِ الجنُوب وألوانها
قَبَسْتِ العذوبةَ والدفءَ من سحرِ غُدْرانها
وهذا الصفاء صفاء الحياه
هناك ، وهمسُكِ شدو الرعاه
لقُطْعانها
دعيني ! فأنتِ الإله هنا وأنا العابده

●

ومن أجلِ عينيكِ هاتينِ حيث يعيشُ الأبَدْ
أعيشُ أؤرِّخُ كالآخَرينَ بأمسٍ وغدْ
وكالآخرين أعيش أجُرّ قُيودَ المكان
وأحملُ فوقَ جبيني عبءَ الدجى والدخان .

لعينيكِ أرشفُ كأسَ الغيومْ

وأعبر ليلاً جفتْه النجـــــومْ

وأطوى الزمانْ

مكبّلةً بالأسى الآدمىّ وقيـــدِ الجَسَـــدْ

●

ولولاكِ يا شمسُ ماتَ النشيدُ نشيدُ المروجْ

وجفّ رحيقُ الشَذى تحتَ برد الشتاء اللَجُوجْ

ولولاكِ ما كان أخشنَ مسّ الفضاءِ الرهيبْ !

وهذى النعومةُ ، هذا الضياءُ الرقيقُ الغريبْ

ألولاهُ كان يعيشُ الخيالْ ؟

ومن ذا يوسّد خدّ الجمالْ ؟

ومن ذا يُذيبْ

بريقَ الحرارةِ فى سَرْوةٍ جمّدتها الثلوجْ ؟

●

ولولاكِ أينَ إذنْ يستحمّ جبينُ السلامْ ؟

وهذى المشاعرُ أينَ تصبُّ ؟ وأين تنامْ ؟

وبعضُ العيون التى جمعتْ ألفَ حُلْمٍ مُحالْ

وقد نَضِجَتْ خلف أهدابها نَغَماتُ الجَمالْ

دعيها تُرِقْ عَسَلَ الأغنياتْ

دعيها تُرِقْ عَسَلَ الأغنياتْ

فلولاكِ سدّتْ عليها الحياهْ

رحابَ الخيالْ

ولولاكِ ما وجدَتْ سامعاً غيرَ بَرْدِ الظلامْ

١٩٥٢/١/٢٨

بقايا

مُرّ بى إن شئتَ مَشْروقَ الرؤى ميْتَ النشيدِ

مُرّ ، فى نفسِكَ أعماقٌ من الصمْتِ البليدِ

حاملاً وجهَ أبى هولٍ جديدِ

ساحباً أعباء قلبٍ من جليدِ

كُنْ ، إذا شئتَ ، بلا طَعْمٍ ، خريفيّاً ، مملاً

آه لكنْ ... ألْقِ ظلاً .

●

ولتكن عيناكَ أفْقاً فارغاً دونَ ضياءْ

تملآن الكونَ ضِحكاً فارغاً ، كالأغبياءْ
أبـداً لم تُـدْركا معنى البـكاء
وانطباقَ الجَفْنِ فوق الكبرياءْ
لتكنْ عيناكَ خلْواً أفقْهُها من كلّ معنى
آه لكن . . . ألْقِ لونا .

●

وليكنْ ماضيكَ قد ماتَ وواراتْه السنينْ
ليكن أصبح فى حُضْنِ الثرَى اكداسَ طينْ
ليس فى قلبك عِرْقٌ من حنينْ
ليس الا بعضُ إحساسٍ مُهينْ
ليكن حبّكَ قد فات مع الأمسِ ومرّا
آه لكن ... أبقِ ذكرى .

●

وليكنْ ظلّ الغدِ القادم موتاً وظـــلاما

لنكنْ نحن سنُمْسِي فيه جُرْحاً وحُـطاما

وفمُ الأحداث يمتصُّ العظـاما

ثمّ يُلْقيها على الأرض رُكاما

ليكنْ لونُ الغدِ الآتي ضبَاباً مُدْلهمّاً

آه لكن ... أبقِ حُلْما

●

إن يكن قد كُشِفَ اللغزُ عن الأمس المُهَانِ

وبدَتْ فيه الأساطير ولاحتْ للعـيانِ

انجــلى ما سترتْ كفّ الزّمانِ

عن كيانٍ خرِبٍ دونَ كيانِ

ليكن عادَ وضوحاً دون ظلّ وتعرّى

آهِ لكن ... أبقِ سرّاً

●



لتكن روحاً يطوف العمرَ في صمتٍ أليمِ

مزّقتْ حُلْمَ صِباهُ نقمةُ الجُرْحِ القديم

فمضى يلعنُ آفاقَ النجومِ

ويذيب الليلَ أقداحَ سُمُومِ

لتكنْ هدّمْتَ ، لم تستبقِ في صدرِكَ حبّاً

آه لكن ... أبق قلبا

●

نحن ضيّعنا طريقَ الغدِ في الليل الرهيبِ
ونسينا راحةَ القلبَيْنِ في الأمسِ القريبِ
أصغِ لم يبقَ سوى همسِ الذنوبِ
في سكونِ الكونِ ، في الليل الرّهيب
فخذ الكأسَ اذا شئت ومزّق ما تبقّى
آه لكــن ... أبــقِ عــرْقا
أبْـــقِ عـــرقا .

١٩٤٩/٤/١٥

ساعة الذكرى

هـذه سـاعة التذكّرِ ، كاد الـ

. . ليـل يبكي معي ويُصغي مليّا

إنهّـا ساعةُ التذّكرِ ، والأجـ

. . . ـراسُ تطوي كآبةَ الصمتِ طيّا

وأحسُّ الخُطا تمـرّ حيَارى

خلفَ بابي كما مررنَ مـرارا

وأحسُّ الوجـوه هبّتْ من الما

ضي وعادتْ مملوءةً أسرارا

الخُطا والوجوهُ أسمعها ، أل

مسُها في الدجى تحدّقُ فيّا

الخُطا والوجوه يا ساعة الذكـ
رى وقلبٌ طغَى أساه وثارا
خلفَ بابي يمُرّ بي موكب الأشـ
ـباحِ يستصرخ الدموعَ الغزارا
الخُطا والوجوه من عمْق ماضٍ
خلتُه عاد غابراً منطوِيّا
وحنين الأصداء يشهق خلف الـ
ـبابِ فى موكبٍ عميقِ السكونِ
ضَحكاتٌ مبتورةٌ تذرع الظُلْـ
ـمةَ والصمتَ فِي جمودٍ حزينٍ
ودموعٌ فِي أعيُنٍ أقفلَ التا
ريخ أهدابهَا على ألفِ سرّ
وعروقٌ تضِجُّ خلفَ ليالٍ
شردتْ فِي الزمانِ دون مقرٍّ

وشفاهٌ أماتَ ألفاظَها الصَمْ

ــت سوى رعشةٍ وبعض أنينِ

وجدارٌ عطشــانُ تعصره الشم

سُ وذكرى الظالّمِيْنِ أعنفَ عَصْرِ

وزمانٌ أفنتْ مواعيدَه الفَوْ

ضَى وأبقتْه فِي شرودٍ وذعْــر

ودروبٌ يكاد يصرخ فيها الظ

ــــلّ شوقاً لعابرٍ مفتـــونِ

ومرور الأشباح يشهق خلف الا

ــبابِ فِي همسةٍ ترنُّ طويــلا

موكبٌ شاحبٌ شحوبَ غدٍ ما

زال لُغْزًا وعالمــاً مجْهولا

موكبٌ كل خُطْوةٍ من خُطا أش

ــباحه رعشةٌ على شَفَتَيّا

كلّ وجهٍ يعود في عُمْق نفسي
زمناً كاملاً عميقاً خفـــيـّا

في ظــلامِ الذّكرى أمُدّ ذراعيّ
(م) لعلّ الأشباحَ تدنو قليــلا

في ظلام الذكرى ، وأفتَح بابي
لأرى الموكب الحزينَ مليّا

في ظلام الذكرى ، وأدفَع كفّي
في جنونٍ عســاىَ ألمسُ شـــيـّا

فأحسُّ الفَرَاغَ في جَسَد الأشـ
ــــباحِ أنّي أصافحُ المستحيلا ؟

١٩٤٩/٤/١٢

هل ترجعين ؟!

« قصيدة نظمتها لعمتى
التى توفيت سنة ١٩٤٨ »

ما زالت الذكرى تَضِجّ وراء إحساسى الدفينْ
إن نمت ألمحُها تسير معى يُجَسّدها الحنينْ
تأويهةٌ التى بها الماضى إلى شطّى الحزيـــــنْ
معصوبة بعُروقِ أحــلامى الحبيساتِ الرنينْ

●

إن نمت ألمحُها فتصرخ لهفتى : هل ترجعين ؟
هل ترجعينَ إذا حَلُمْتُ بما مضى ؟ هل ترجعين؟

●

ما زالت الذكرى تضجّ ، ولم أزلْ فى أسرهــــا
ما زلت ، تنطفىء ابتساماتى لمَعْبَرِ ذكرهــــا
يتقاسم الليل الصديق معى حرارةَ جمرهــــا
وتظلّ تحفر فى عُروقى الواهاتِ بظُفْـــرِها

●

عطشى ، أراكِ ولا أمَسّكَ ، أينَ أنتِ ؟ أتسمعينْ ؟
وإذا دعوتُكِ من خلال مدامعى ، هل ترجعينْ ؟

●

ألشّوق يعصرُنى إليكِ ويطفىء المرحَ الكَــذوبْ
يغتال أفراحى ويُسْلم كلّ ضوءٍ للغُــروبْ
إنى أموتُ تحرّقاً وتعطشاً ، إنى أذوبْ
لم يبْقَ إلا رجْع أصداءٍ يكفّنُها الشحــوبْ

●

عرَفَتْ بها روحى المَشُوقة بعض تَذْكارِ السنينْ

فصرختُ فى ألمٍ خريفىّ الصدى : هل ترجِعين ؟

●

والشّوقُ للموتى سَهادٌ ليسَ يَشْفيــهِ الضياءْ

ألشوق للموتى جراحٌ ليس يقرّبُها شِفــــاءْ

أبكى؟ أذوبُ ؟ سُدّى ! فبعض النارِ يأبى الانطفاءْ

بعضُ التعطشِ مستحيلٌ أن يطوفَ به ارتــواءْ

●

يبقَى يمزّقنى وأنتِ بعيدةٌ لا تُــــدْركينْ

وأنا انتفاضٌ صارخٌ فى حَسْرةٍ : هل ترجِعين

●

وأنا أعُدّ الذكريات وأرقُبُ الزمَنَ الكَسُولْ

يمشى على عُكّازتَيْن من الكآبةِ والذهــولْ

يمشى ويحصى ما على وجهى المقنّع بالذبــولْ

والصمتِ من صُوَرٍ تموت وأنجم بيدِ الأفول

وأنا ؛ وأحلامى ، وقلبى ، قصّةٌ لو تعلمين

مازلت أحكيها وأصرخ فى الدجى : هل ترجعين ؟

١٩٤٨/٣/٩



صلاة الأشباح

تململتِ الساعةُ البارده
على البرج ، فى الظلمة الخامده
ومدّتْ يداً من نُحاسْ
يداً كالأساطير بوذا يحرّكُها فى احتراسْ
يدَ الرّجل المنتصبْ
على ساعة البرج ، فى صمته السرمدىّ
يحدّقُ فى وجْمة المكتئبْ
وتقذفُ عيناهُ سيلَ الظلامِ الدّجِىّ
على القلعةِ الراقده

على الميّتين الذينَ عيونُهُمُ لا تموتْ
تظلّ تحدّقُ ، ينطقُ فيها السكوتْ
وقالتْ يد الرَجُلِ المنتصِبْ :
« صلاةٌ ، صلاه ! »

●

ودبّتْ حيـــاه
هناكَ على البُرْج ، فى الحَرَسِ المُتْعَبينْ
فساروا يجرّونَ فوق الثَرَى فى أناه
ظلالَهُمُ الحانياتِ التى عقّفَتْها السنينْ
ظلالَهُمُ فى الظلامِ العميقِ الحزينْ
وعادتْ يدُ الرجل المنتصِبْ
تُشير : « صلاةٌ ، صلاه ! »
فيمتزِجُ الصوتُ بالضجّة الداويه ،

صدىً موكبِ الحَرَسِ المقتربْ
يدُقّ على كلّ بابٍ ويصرخُ بالنائمينْ
فيبرُزُ من كلّ بابٍ شَبَحْ
هزيلٌ شَحِبْ ،
يجُرّ رَمَادَ السنينْ ،
يكاد الدُجى ينتحبْ
على وَجْهِهِ الجُمْجُمِيّ الحزينْ

●

وسار هنالكَ موكبُهُمْ فى سُكونْ
يدبّونَ فى الطُرقاتِ الغريبةِ ، لا يُدْركونْ
لماذا يسيرونَ ؟ ماذا عسى أن يكونْ ؟
تلوّتْ حوالَيْهم ظُلُماتُ الدروبْ
أفاعيَ زاحفةً ونُيُوبْ

وساروا يجرّون أسرارَهُمْ فى شُحُوب
وتهمسُ أصواتهم بنشيدٍ رهيبْ ،
نشيدِ الذينَ عيونُهُمُ لا تموتْ ،
نشيد لذاك الإلهِ العجيبْ
وأغنيةٌ ليد الرَجُلِ المنتصب
على البرج كالعنكبوتْ
يدٌ من نحاسْ
يحرّكها فى احتراسْ
فترسل صيحتَها فى الدياجِى
« صلاةٌ ، صـــلاهْ »

●

وفى آخر الموكب الشَبَحىّ المُخيفْ
رأى حارسٌ شَبَحَيْنْ

يسيرانِ لا يُدركان متى كانَ ذاك وأيْن ؟

تحزُّ الرّياحُ ذراعيهما فى الظلام الكثيفْ

وما زال فى الشَّبَحينِ بقايا حياه

ولكنّ عينيهما فى انطفاءْ

ولفظُ « صلاةٌ ، صلاه »

يضِجّ بسَمْعَيْهما فى ظلام المساءْ

●

« ألستَ ترى »

« خُذْهما ! »

ثم ساد السكون العميق

ولم يَبْقَ من شَبَح فى الطريقْ

●

وفى المعْبَد البرّهميّ الكبيرْ

وحيثُ الغموضُ المثيرْ
وحيثُ غرابةُ بوذا تلفُّ المكانْ
يُصلّى الذينَ عيونُهُم لا تموتْ
ويَرْقُبُهم ذلكَ العنكبوتْ
على البرج مستغرقاً فى سكوتْ ،
يشيرُ بكفّيه ملءَ المكانْ
فيرتفعُ الصوت ضخْماً ، عميقَ الصدى ، كالزّمان
ويرتجفُ الشَبَحانْ

●

« من القلعةِ الرطبةِ البارده
« ومن ظُلُماتِ البيوتْ
« من الشُرَفِ المارده
« من البرجِ ، حيثُ يدُ العنكبوتْ

« تشيرُ لنا فى سكوتْ

« من الطرقاتِ التى تَعتْلِيك الظُلْمةَ الصامته

« أتيناكَ نسحَب أسرارَنا الباهته

« أتيناكَ ، نحن عبيدَ الزمانْ

« وأسْرَاه نحن الذينَ عيونُهُم لا تموتْ

« أتينا نَجُرّ الهوانْ

« ونسألُكَ الصفْحَ عن هذه الأعين المُذْنبه

« ترسّبَ فى عُمْق أعماقها كلُّ حزْنِ السنينْ

« وصوتُ ضمائرِنا المُتْعَبه

« أجشُّ رهيبُ الرّنينْ

« أتيناكَ يا من يذُرّ السُهادْ

« على أعينِ المُذْنبينْ

« على أعينِ الهاربينْ

« إلى أمسيهم ليلوذوا هناك بتلّ رمادْ

« من الغدِ ذى الأعين الخُضرِ . يا من تراهْ

« صباحَ مساءَ يسوقُ الزمانْ

« يحدّق ، عيناه لا تغفوان

« وكفّاه مَطْويّتانْ

« على ألفِ سرٍّ . أتينا نُمرّغ هذى الجباهْ

« على أرض معبدِهِ فى خُشُوعْ

« نُناديهِ ، دونَ دموعْ ،

« ونصرخ : آه !

« تعبْنا فدعْنا ننامْ

« فلا نسْمع الصوتَ يَهْتف فينا : « صلاه ! »

« إذا دقّتِ الساعة الثانيه ،

« ولا يطرق الحرّس الكالحونْ

» على كل بابٍ بأيديهمِ الباليه
» وقد أكلتْها القُرونْ
» ولم تُبْقِ منها سوى كومةٍ من عظامْ
» تعبنا ... فدعنا ننامْ ..
» ننامُ ، وننسى يد الرجل العنكبوتْ
» على ساعة البرج . تنشُرُ فوق البيوتْ
» تعاويذَ لعنتِها الحاقده
» حنانك بوذا ، على الأعينِ الساهده
» ودعْها أخيراً تموتْ .

●

وفي المَعْبد البرهميّ الكبيرْ
تحرّكَ بوذا المُثيرْ
ومدّ ذراعَيْه للشبحَيْنْ

يُبارك رأسيْهما المُشْعبيْن

ويصرخُ بالحَرَس الأشقياء

وبالرَّجُلِ المنتصبْ

على البرْج فى كبرياء :

« أعيدوهما ! »

ثم لفَّ السكونُ المكانْ

ولم يبقَ إلا المساء ،

وبوذا ، ووجه الزمانْ

١٩٤٩

خائفة

إرجعْ فالليل تُثير مخاوفُه قلقى
وأنا وحدى والنجمُ بعيدٌ فى الأفُقِ
يخدعُنى أملٌ فى فجرٍ لم ينبثقِ
وصُبَابةُ دمع باردةٍ لم تحترقِ

●

ومددتُ يدى فرَجَعْتُ بجفنةِ ظلماءِ
وسألتُ الليلَ فبؤت ببضعة أصداءِ
أصداءٌ مغرقةٌ فى سَوْرةِ إغماءِ
جاءتْ تزحَف من أغوار الماضى النائى

●

دربى حاولتُ سُدى أن أرفع أستارَهْ
تَصْخَبُ فى عتْمته أشباحٌ ثَرْثَاره
أنكرت الدرْبَ كأنْ لم أعرفْ أحجارَه
يوماً بالأمس ولم أستكشفْ أسرارَه

●

إرجعْ ، أوّاه ألا تسمع صوتى الموهونْ؟
لن أبقى وحْدى فى هذا الدرْبِ المجنونْ
هذا الأفق المستغْلق حيث النجْم عُيونْ
حيث الأشجارُ هياكلُ أفكارٍ وظنونْ

●

تتردّد فيه أصواتٌ تُنْذِر حبّى
أصواتٌ غادرةٌ تنبح ملءَ الرّحْبِ
صدّقنى وارجعْ أخشى أن تجرحَ قلبى
صدّقنى .. إنّى أسمعُها تملأ دربى

فى المَعْبَرِ سَعْلاةٌ ترمُق طيفى بفُتُورْ

ووراءَ المُفْتَرقِ المتشعّبِ بعض قبورْ

خذْ بيدى ولنتْرك هذا الأُفْقَ المهجورْ

لا تتركْنى روحاً صارخةً فى الديجورْ

١٩٤٨/٤/١

عودة إلى الحياة

إغضبْ ، أحبّكَ غاضباً متمرّداً

في ثورةٍ مشبوبةٍ وتمــزّقِ

أبغضتُ نومَ النار فيكَ فكن لظى

كن عرْقَ شوقٍ صارخٍ متحرّقِ

●

إغضبْ ، تكاد تموت روحُك ، لا تكن

صمتاً أضيّعُ عنـدَهُ إعصاري

حسبي رَمادُ الناس ، كن انت اللظى

كن حُرْقة الإبـداع في أشـعاري

إغضبْ ، كفاك وداعةً . أنا لا أحبّ الوادعين

النّار شرعى لا الجمود ولا مُهادَنة السنين

إنى ضَجرْت من الوقارِ ووجههِ الجَهْم الرصينْ

وصرخت لا كان الرّماد وعاش عاش لظى الحنينْ

إغضبْ على الصمتِ المُهينْ

أنا لا أحبّ الساكنينْ

●

إنّى أحبّك نابضاً ، متحرّكاً ،

كالطفل ، كالريح العنيفةِ كالقَدَرْ

عطشانَ للمجدِ العظيم فلا شذىً

يُرْوى رؤاكَ الظامئاتِ ولا زهَرْ

●

ألصبْر ؟ تلك فضيلة الأمواتِ ، فى



برد المقابرِ تحتَ حكم الدودِ

وقدوا وأعْطينا الحياةَ حرارةً

نشوَى وحُرْقةَ أعينٍ وخدودِ

●

أنا لاأحبّكَ واعظاً بل شاعراً قلق النشيدْ

تشدو ولو عطشانَ دامى الحلْق محترقَ الوريدْ

إنى أحبّكَ صرخةَ الإعصارِ فى الأفُق المديدْ

وفماً تصبّاه اللهيب فبات يحتقر الجليدْ

أين التحرّق والحنينْ ؟

أنا لا أطيق الراكدينْ

●

قطّبْ ، سئمتُك ضاحكاً ، إنّ الرُبا

بردٌ ودفء لا ربيعٌ خالدُ

العبقرية ، يا فتاىَ ، كئيبةٌ

والضاحكونَ رواسبٌ وزوائدُ

●

إني أحبك غُصّةً لا ترتوى

يَفنى الوجود وأنتَ روحٌ عاصفٌ

ضَحكٌ جنونىٌّ ودمعٌ محرق

وهدوء قدّيسٍ وحسٌّ جارف

●

إنى أحبّ تعطّشَ البركان فيكَ إلى انفجارْ
وتشوّق الليـل العميق إلى ملاقاة النّهـــارْ
وتحرّق النبع السخىّ إلى معانقـة الجـرارْ
انى أريدُكَ نهرَ نارٍ ما للجتّـهِ قـرارْ

●

فاغضب على الموت اللعينْ
إنى مَللْت الميّتينْ

فهرس

الصفحة

الصفحة

للشاعرة

الطبعة الأولى

عاشقة الليل	(شعر)	بغداد — ١٩٤٧
شظايا ورماد	(شعر)	بغداد — ١٩٤٩
قضايا الشعر المعاصر		بيروت — ١٩٦٢
شعر علي محمود طه		القاهرة — ١٩٦٥

دار الكاتب العربى للطباعة والنشر
بالقاهرة



الثمن ٢٥ قرشا